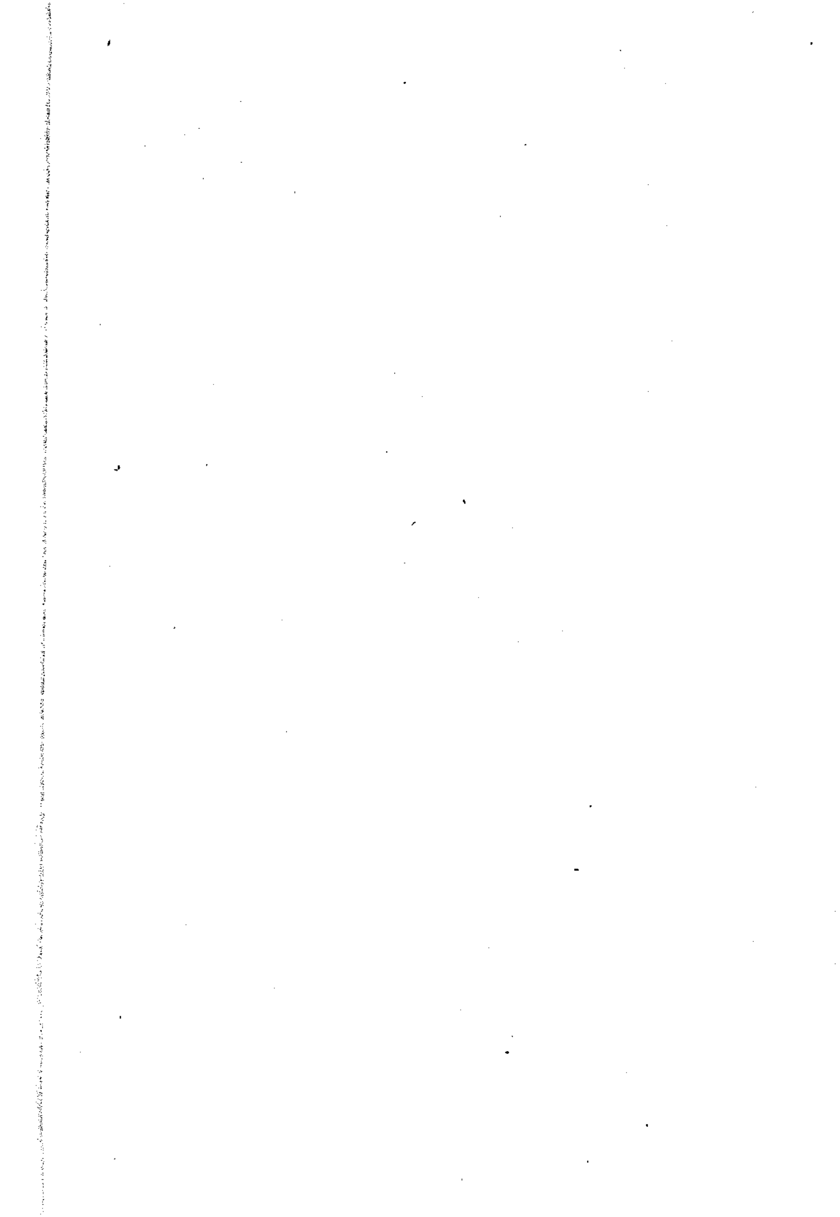
مارجري هيلتون

الوادي السرّي



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

الوادي السيري

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE FLOWER OF ETERNITY

١ـ أول الغيث قطرة

جلست فيونا تكتب هذه الرسالة لوالدها:

« . . . ليما مدينة رائعة. تهيبنا الموقف لدى وصولنا مخافة ان لا تكون كما توقعنا. كنا جميعاً نتوق لرؤية ألوانها الاستوائية الزاهية، لدى هبوطنا من الطائرة رأينا أرضاً منبسطة والضباب في كل جانب. وبصراحة خجلت من نفسي عندما لاحظ دون فيليب انني اتأفف، فهو رجل لطيف جداً. الجميع هنا مرحون وظلهم خفيف. وقد حملني تحياته اليك كما تأسف طبعاً لتغيبك الاضطراري. تحس في الفيللا الجميلة التي يملكها انك في عالم الاحلام. ويقول كليف لنمتع انفسنا بأوفر قسط من هذا الترف، لأنه آخر ما يتاح لنا لوقت طويل فيما بعد. هذا وكأني

اهتم بالرفاهية مع البعثة، التي كنا نخطط لها ونحلم بها ونتحدث عنها طوال الوقت حتى كدت لا اصدق متى تبدأ. . .».

توقفت فيونا دانن عن الكتابة واخذت جرعة من عصير الليمون المثلج ونظرت الى الرسالة التي لم تختمها بعد. مع انها وصلت ليما منذ يوم ونصف فهناك اشياء كثيرة تود ان تنقلها لوالدها العزيز ولا تكفيها رسالة. ليته كان معاى فيستطيع القيام بالمغامرة التي امضى شهوراً عديدة في التخطيط لها ثم اضطر للبقاء وحده في قرية سفولك الهادئة.

ابتسمت فيونا وحدثت نفسها بأن والدها ينتظر على احر من الجمر ليقرأ وصفها المسهب لجمال بلاد البيرو المدهش فأسرعت تتابع:

«سنعقد مؤتمراً فور وصول ماكس كريستبرن العظيم. . . لا ادري بصراحة يا والدي لماذا يتهيب الجميع ذكره. رغم ثقتي بانه لا يتمتع بنصف الذكاء الذي تتمتع به انت، فضلاً عن انك انت من هيأ العمل الشاق، وجمع كل المعلومات اللازمة. ولكن يبدو بأن علينا الانتظار هنا حتى يصل ويصدر تعليمات الانطلاق. يظهر انه ابرز شخصية هنا وهو الوحيد الذي يعرف طرق جبال الانديس ومخارجها المؤدية الى الوادي السري. اعتقد ان علينا جميعاً التحلي بصفات الدعة والطاعة؟ ربما كان ماكس هو الرجل المناسب في المكان المناسب. سنتأكد من ذلك

عندما نحتك به. كما اتمنى الالتقاء بمستكشف قوي متكتم من النوع الذي لن ينثني عن الوصول الى الوادي والعثور على الزهرة الاسطورية».

ـ ها انت هنا.

نظرت مستطلعة وجه مخاطبها الذي نمت عيناه عن مكنون قلبه الطيب وطبيعته الساخرة.

قالت وهي تبتسم:

ـ مرحباً يا كليف!

جلس بجوارها وتناول كوبا من عصير الليمون وقال:

ـ كنت قاسية جداً فلم توجهي للمسكين روجر كلمة واحدة.

ـ كلا هذا ليس صحيحاً.

تلعثمت وتغيرت ملامح وجهها. انه لم يقل الحقيقة فهي لم تنقطع تماماً عن التحدث مع روجر.

لكن ذكرى الحادثة التي وقعت صباح ذلك اليوم جعلتها تشعر بالانزعاج وتأنيب الضمير. دست الرسالة التي لم تكملها في حقيبة المراسلة ونظرت الى كليف قائلة:

ـ لا ادري ما افعل. فلم اقصد جرح شعوره ولكني لم أشأ ان ادعه يشتري لي الخاتم الفضي اولا لانه ثمين وثانياً... انه ليس مجرد خاتم!

ـ اكنت تعلمين مقدار حبه لك.

- هذه هي المشكلة، فأنا لم احبه، وانت تعرف كل شيء. تربينا معاً وأنا في كنف عمي بعدما تبناه فتوثقت العلاقات بين عائلتينا وكان روجر بالنسبة لي دائماً شقيقاً حتى الآونة الأخيرة. ورغم كونه عزيزاً علي لا استطيع النظر اليه بشكل مختلف، ولا اريد ان اجرح شعوره.

- هذه مشكلة عويصة. كنت أعرف بان ذلك سيحدث في يوم من الأيام وبت اكيداً منذ ثلاثة أسابيع.

- تأكدت بنفسك.

- لم تنظري الى وجه روجر عندما قلت انك آتية معنا في البعثة. كدت تطيرين من الفرح والزهو لان والدك وافق اخيراً على انضمامك الينا بصفة مندوبة عنه، لدرجة انك لم تشعري بما حولك، لكن روجر بدا وكأنه في عالم آخر.

- يا الهي ظننت ان روجر عارض مجيئي لاعتقاده بخطورة الرحلة ثم بدأ فجأة يؤكد لوالدي بأنه سيحميني ويسهر على راحتي!

لم يجب كليف فوراً بل استند على كرسيه ونظر اليها بامعان مبتسماً واخذ يتفحصها بدقة وروية. اخيراً قال:

- لا اخشى شيئاً على روجر فأنتما لا تزالان في مقتبل العمر. تمتعا في صباكما فالشباب يا عزيزتي لا يدوم طويلا.

- اجل ايها العرّاف. لكن اسمح لي ان اقول لك بانني في التاسعة عشرة من عمري ولي الحق بالتصويت، وقد تلقحت

ضد خمسمئة نوع من الامراض الخطرة وأستطيع حلّ الكلمات المتقاطعة في صحيفة التلغراف. واتفوّق عليك في لعبة التنس!.

- كل هذا لا يتطلّب اي مهارة.

- وقد أوكل الي والدي مهمة المحافظة على الخرائط والمذكرات لمصلحة البعثة.

وقف كليف ضاحكاً وقال:

- أيتها العنيدة سأرميك في المسبح من أجل ذلك.

قفزت واقفة ومدت يدها قائلة:

- لدي فكرة، هيّا بنا نتبرّد في الماء.

كان جوناثان اثناء ذلك يراقبها من المسبح. ناداهما للانضمام اليه، فلحقت فيونا به وبقي كليف على السطيحة ثم جلس يوجه ملاحظات ساخرة حول سباحة جوناثان.

قال:

- انت تحسن العزف على القيثارة اكثر من السباحة.

ظلّ جوناثان يسبح بمحاذاة فيونا الى ان سبقته بمراحل. والتفتت الى كليف تتحدّاه لكنها رأته يستدير ذاهباً لتحية دون فيليب وبرفقته رجل آخر. نسيت فوراً موضوع التحدي وراحت تنظر الى الرجل الآخر. كان لباسه عادياً جداً. طويل القامة أكثر من مضيفهم، عريض المنكبين قوي البنية. توقّف الرجل عند مدخل الفيللا مع رفيقيه واذا بعمها وروجر يخرجان

من الباب فاهتم دون فيليب بالتعارف. لم تلحظ رد فعل الجماعة، لكن لفت نظرها شيء ما في الشخص الطويل مما جعلها تحدق ملياً لترى بوضوح. وعندما تحرّك ورأت جانب وجهه لاحظت ملامح الصراحة والجدية واضحة عليه: حاجب عال وانف مستقيم وفك عريض لدرجة القساوة ورأس مائل دلالة على حب السلطة. بالاضافة الى سمرة برونزية تضفي المهابة والثقة. رجل جدي لا يقبل المزاح.

غضت فيونا طرفها وتلاشت دهشتها. يجب ان يكون هذا هو ماكس كريستبرن وهذا يعني وجوب الخروج من المسبح وانهاء وقت اللعب والمرح.

استدار كليف في تلك اللحظة ودل عليها فالتفت ماكس الى حيث اشار كليف. عندئذ لوحت فيونا بذراعها وكانت تقول انها قادمة لو لم يمسكها جوناثان بقدمها ويغطسها في الماء بشدة.

اندفعت فيونا تغالب الماء بقوة حتى عامت ونسيت الرجل الواقف على السطيحة. فانقلبت برشاقة وسرعة ولحقت بجوناثان ثم أمطرته بوابل من رشقات الماء ودفعت به تحت سطح الماء. ولما ارتفع الى فوق لاهثاً سمع كليف يناديه:

ـ هل تريد مساعدة يا رجل؟

ـ لقد اغرقتني هٰذه الامازونية!

ـ واحدة بواحدة والبادىء أظلم.

ورشقته بالماء لآخر مرة وقد شفت غليلها وأخذت تشاركه

الضحك. ثم سبحا سوية لآخر الحوض وخرجا من الماء وبعد ان جمعا حاجات السباحة سارا نحو الفيللا للاغتسال وابدال الثياب. التفتا فلم يجدا أثراً لبقية الرفاق. توقف جوناثان قليلاً عند مرورهما في الصالون الكبير وأمال برأسه يسترقّ السمع من الصالة الرئيسية فسمع أصوات رجال خلف الباب. قال:

ـ يظهر بأن الاجتماع بدأ، هل تلقي نظرة؟

ـ تستطيع اذا شئت. اما انا فسأذهب لأخذ حمام وأبدل ثيابي قبل كل شيء.

ـ أظنك على صواب.

ثم التفت نحو الباب وعاد يسير بجانب فيونا ويرتقيان الدرج الى الطابق الاول. قال جوناثان متذمراً:

ـ ليت هذا الرجل كريستبرن تأخر بضع ساعات أخرى لأن الاجتماع اذا دام طوال الليل، فلن أتمكن من المحافظة على موعدي.

ـ أي موعد هذا ولم تمض وقتاً كافياً هنا... أحقاً ما تقول يا جوناثان؟

ـ انها الفتاة التي كانت معنا في الطائرة. اتذكرينها؟ اتصلت بها الليلة الماضية لكنها كانت متعبة فأعدت الكرة صباح اليوم ووافقت على اللقاء هذه الليلة... لا استطيع ان أتأخر.

ـ ولا تستطيع التغيّب عن المؤتمر بسهولة.

ـ كلا. ولكنني أستطيع الانسحاب بخفة، فلست مسؤولاً

عن القرارات الهامة. لذلك لا يشعر احد بغيابي.

ارتابت فيونا بصحة قوله. ويخطىء جوناثان اذا تصور ان بامكانه تفادي نظرات عمها الثاقبة فضلاً عن انهم هنا لاداء مهمة لا للترويح عن النفس.

استحمت وارتدت ثوباً مناسباً وأفكارها منهمكة في الرحلة. ثم اخذت من حقيبتها ملف المذكرات القيمة التي طلب منها والدها المحافظة عليها فاعترتها غمامة أسف ولوعة عادت بالذاكرة الى وجه والدها عندما سلمها الملف. فتألمت من صميم فؤادها لوقوعه فريسة المرض. ترى كيف حاله الآن؟ انه يفكر بهم من بعيد متسائلاً هل سيتحقق أخيراً حلم اكتشاف دواء يشفي من داء السرطان الوبيل.

كان والدها رئيس دائرة الأبحاث في علم النباتات في مؤسسة ليلهولم كروس حيث كانوا يجرون التجارب بهمة ونشاط على النباتات. أحد هذه الأبحاث الحديثة جعله يتوسّع في هذا المجال وكان يبحث في خصائص نوع من شقائق النعمان، هندي المنشأ يفرز مادة تقي من الطفيليات ومن افرازات قواقع البحر التي تقتل الخلايا البشرية بسرعة فائقة.

أدلى زميل له صدفة أثناء انعقاد مؤتمر حول الكيمياء بملاحظة جعلته يحوّل ابحاثه باتجاه آخر عمره حوالى مئة سنة. فراح يتجوّل في انحاء اوروبا ينقّب عن نصوص ضاع اكثرها خلال المجزرتين اللتين اجتاحتا اوروبا في النصف الاول من

القرن العشرين. واخيراً عندما كاد يقتنع بعدم وجود البرهان المطلوب، عثر على مذكرات وضعها طبيب فرنسي شاب يدعى جرفيس سان لوبين مودعة في قبو تحت مخطوطات مؤسسة فوجيل ومعها خرائط وتقارير وضعها عالم الماني يدعى فون شوميل الذي رافق جرفيس سان لوبين في بعثتين الى البرازيل والبيرو في أواخر القرن السابق.

فتحت فيونا الحافظة القديمة التي تضم المذكرات، وحدّقت في لون الحبر الباهت الذي خطّت به الكلمات وتساءلت، مسلوبة اللب، هل صحيح أنها بعد مئة عام من استعمال هذا الحبر لتحديد طريق جرفيس سان لوبين ستعيد اكتشاف الوادي الغريب الذي لا يثق احد بوجوده سوى والدها؟ وهل ستلتقي سكانه الذين دعاهم سان لوبين بالشعب السري وتعثر على الزهرة التي لا تنبت في أي مكان آخر من العالم الا في هذا الوادي؟

تنهدت فيونا وتساءلت هل حقاً آمن هذان الرجلان اللذان ماتا منذ زمن بعيد بأن هذه الزهرة تحتوي على السرّ الدفين الذي حلم به الانسان منذ الأزل الا وهو اكسير الخلود؟ وهل صحيح ان الشعب السري يعيش حياة طويلة جداً ويتمتع بمناعة تامة من الاوبئة التي تعصف بالجنس البشري؟ لقد دفع سان لوبين وشوميل حياتهما ثمناً للجواب على هذه الأسئلة. الشاب الفرنسي أصيب بمرض استوائي أثناء اقامته في أميركا الجنوبية

ومات بعد أشهر قليلة من عودته لأوروبا. اما فون شوميل فثابر على العمل وبعد جهود عام كامل لجمع الأموال اللازمة لتمويل بعثة أخرى، سافر الى العالم الجديد واختفى اثره.

طوت فيونا المذكرات وشرد بصرها. كلا لا يمكن لزهرة الخلود ان تهب الحياة الأبدية لكنها ربما اسهمت في القضاء على بعض الأمراض ولن يطول بهم الزمن حتى يكونوا على قاب قوسين أو ادنى منها.

ـ الآنسة دانن.

تنبهت من غفلتها على هذا النداء تبعته نقرة على الباب. نظرت اليها الخادمة الشابة باحترام وأبلغتها انهم يطلبون حضورها لصالة الاجتماع مع جميع الوثائق.

يبدو أن كليف هو الذي أرسل في أثرها فشكرت الخادمة ورتبت الأوراق بسرعة ونظرت الى ساعتها: لا يمكن ان تكون قد استغرقت هذا الوقت الطويل، لكن الظلال التي غمرت الحديقة دلت على اقتراب المساء فندمت على تأخرها.

كان الصالون خالياً، فأسرعت نحو صالة الاجتماع وتوقفت عند الباب. ابتسمت بأسف ثم سمعت وقع أقدام على رخام أرض الغرفة. سمعت دون فيليب يقول بالاسبانية:

ـ اهلا وسهلا يا آنسة، وهكذا عثروا عليك. ستجدينهم هنا. اسمحي لي...

واقترب ليفتح الباب. ابتسمت له وقالت:

ـ اعرف ذلك. شكراً. اميل للاعتقاد بأني سودت صحيفتي لتأخري لذلك شددت عزيمتي وتهيأت. دخلت بدون تردد لانها تعلم ان دون فيليب مشهود له باللباقة ازاء الجنس اللطيف. قالت:

ـ جئت في الوقت المناسب لتدعمني معنوياً.

برقت عيناه وقال:

ـ تعالي يا آنسة دانن، لسنا مخيفين لهذه الدرجة. هل يشاغبون عليك كثيراً؟ لا تهتمي. دعيني اعرفك بالسيد كريستبرن قائد هذه الرحلة وانا متأكد بأنك لن تجديه مهيباً اكثر من اللازم.

على جدار الصالة الخالي من أي باب او نافذة توجد سجادة كبيرة تدلّى طرفها حتى قاعدة تمثال لنسر منحوت ببراعة في اطار جميل، وهناك وقف رجل يتمعن القطعة الرائعة. لم يلتفت لأحد الى ان وصل دون فيليب قربه مع فيونا وعندما نظر اليها متفحصاً وعلى ثغره ابتسامة فاترة بادر لاستقبالها. هزّ يدها التي مدّتها عفوياً واحنى رأسه قائلا:

ـ لا حاجة بك للخوف من هذه الرحلة اذا كنت انا اشد مخاطرها يا آنسة دانن.

شيء ما في عينيه الرماديتين ونظراته النافذة جعلها تتخلّى عن جوّ المرح الذي اضفته عندما دخلت الصالة، فسحبت يدها من يده بسرعة وقالت:

ـ لست خائفة من الرحلة بل بالعكس، اتطلع اليها أكثر من أي شيء في حياتي.

ـ يسرني سماع ذلك وآمل ان لا يخيب أملك.

دفعت اليه بالملف وقالت:

ـ الأوراق يا سيد كريستبرن مع المذكرات وملاحظات والدي. لقد عهد اليّ أمر تسليمها اليك.

ـ يبدو كأنك تكشفين أوراق سرية للغاية.

اجابت ببرود:

ـ انها قيمة جداً بمعنى انها لا تعوض ولأنها برسم الاعارة.

ـ بالتأكيد. يبدو انني فقدت روح النكتة أثناء انتظاري لهذه الأوراق ساعة كاملة. سأحيطها بعنايتي التامة الى أن أقارنها بالنسخة التي احتفظ بها ثم أعيدها اليك.

يظهر بأنه لم يلاحظ تنفسها العميق استعداداً للرد على صدوده وعجرفته.

قال دون فيليب وهو يقدم لها كرسيا:

ـ اما زلت بحاجة الى دعم معنوي.

ـ أجل ريا للأسف.

استطاع ماكس بطريقة ما وفي برهة وجيزة وبضع كلمات ان يجعلها تشعر بأنها فتاة عادية.

نظرت اليه وهو جالس بين عمها وكليف وزمت شفتيها. يجب ان يكون موقفها مهما حدث سلبياً تجاه الرجل الذي يمسك

بزمام الأمور. وان لا تنسى أيضاً الشكوك والريبة التي تعرض لها والدها وتغلّب عليها قبل الموافقة النهائية على هذه البعثة. فقد انقسم رأي زملائه في المؤسسة انقساماً حاداً حول جدوى المشروع وبدا في وقت من الاوقات انه عرضة للالغاء، لكن كفّته رجحت فجأة عندما جاءه الدعم من فرع الشركة في الولايات المتحدة بشخص هذا الرجل الذي أثّر على فيونا تأثيراً عميقاً أي ماكس كريستبرن.

وضع ماكس القلم من يده وحدق بفيونا كأنه يتأكد من وجودها. ادركت بندم انها لم تسمع كلمة واحدة من كلامهم فوضعت حداً حاسماً لشرود ذهنها. قالت:

ـ آسفة. هل وجهت اليّ أي سؤال؟

زم شفتيه قليلاً وقال:

ـ كلا. ولا فرق بأي حال...

عضت فيونا على شفتيها وأدركت ان الجميع ينظرون اليها، ثم قالت:

ـ آسفة. لقد كنت أفكر بوالدي. ارجوك ان تكمل يا سيد كريستبرن.

ـ الأفضل ان نترك الرسميات جانباً من الآن فصاعداً، فنحيا حياة بدائية في الأسابيع المقبلة ولنعد الى الناحية العملية. ستقلع طائرتنا حوالى التاسعة والنصف من صباح الغد ونصل سانكيفوس ظهراً حيث نستلم بقية المؤن ونضعها في الشاحنات

ثم نتناول الغداء برفقة السيد بيريز بعدها نذهب الى هوامانو ومن هناك نتابع المسيرة على البغال حسب الخطة المرسومة الى ان نصل الى فاكاوايا في غضون ثلاثة أيام. من هناك نتدبر أمورنا بأنفسنا.

توقف قليلاً ثم تابع:

- عليّ ان أحذركم بأن الرحلة ليست سهلة على الاطلاق. هل هناك أيّ سؤال؟

ثم ركز نظره على فيونا. فردت بدون ان يرف لها جفن:

- ليس لدي أي سؤال.

اسند ظهره للوراء وعندما لم يتلق أي تعليق آخر تابع:

- حتى لو ظهرت متشائماً وكان قولي تكراراً لحقائق تعرفونها فانني اشدّد على عدم الاستخفاف بأخطار غابة المطر خصوصاً بالنسبة للشبان منكم. سيكون نظام المرافقة معمولاً به فور مغادرتنا هوامانو. التجوّل افرادياً ممنوع بتاتاً في أي وقت. واعتقد أخذتم علماً بوجوب الوقاية الطبية وخصوصاً ضد الملاريا والمياه الملوثة. اصطحبنا اسعافات كافية ويجب ألاّ تقع اصابات، فلا تهملوا اعراض الارهاق والالتهاب لأنها لا تستمر بسيطة لمدة طويلة.

انصب اهتمامه اثناء هذا الخطاب على فيونا التي استعادت مرحها. نظرت الى عمها والى كليف فرأت على وجهيهما تجهماً مكبوتاً. ادركت بأنهما يعلمان بأنها الشخص المقصود بهذه

المحاضرة، فتعمدّت الظهور بمظهر الجد:
- تظهر الالتهابات الثانوية الناجمة من الطفح الجلدي بسرعة ووضوح. أليس كذلك؟
ادلت فيونا بهذه الملاحظة بلهجة جدية، ثم اضافت:
- ولا يعود افراز العرق الى حالته الطبيعية الا بعد انقضاء عدة أسابيع.
رمقها ماكس بنظرة حادة وقال ببرود:
- كنت تكتبين فروضك في المكتبة الطبية يا آنسة دانن. أنصحك بالتخلي عن ذلك واهتمي بمتطلبات الحياة اليومية.
قال كليف متهكماً:
- من باب التزوّد بالمعرفة...
تجاهلت قوله واجابت:
- فكرت بأننا قررنا عدم الانتظار حتى تتغيّر عاداتنا. بالمناسبة من سيكون رفيقي؟ أي واحد ما عدا كليف، أرجوك. انه يشخر عندما ينام وهو تقريباً نائم دائماً.
قال بهزء:
- من شدة الارهاق!
قام دون فيليب وقرع الجرس وقال:
- أظن بأن وقت الاستراحة حان فلنأخذ بعض المقبلات قبل تناول الطعام.
أخذوا يتحدثون فور انفضاض الاجتماع فانتحت فيونا

بكليف منتهزة فرصة انشغال الآخرين بالحديث وقالت:
- ما رأيك به؟
تصنّع كليف انه يجهل قصدها وقال:
- من؟
- اوه. . . دون فيليب؟ كن جدياً يا كليف.
- انني احاول يا عزيزتي. كنت افكر بأننا نحسن صنعاً بالذهاب فوراً، كلنا من حولك لحمايتك. دون فيليب ينظر اليك. . .
- كليف. انا لا اتكلم عن تنقل نظرات دون فيليب. سألتك ما رأيك فيه - اجاب برقة بابتسامة بريئة:
- وانا اخبرك بأنه عازب وان ابناء العرق اللاتيني من خيرة الازواج.
رفعت فيونا نظرها نحو السماء علامة الضجر، عند ذلك قال كليف بنعومة:
- مشكلتك الكبرى يا عزيزتي انك مدللة. لقد أعجبنا جميعاً بك حتى كادت المؤسسة ان تتزعزع. أظن بأنك وجدت لك نداً هذه الليلة، الأجفان الذابلة والخداع لا تجدي نفعاً مع هذا الرجل.
قالت مستنكرة:
- انا لا أذبل أجفاني.
اجاب ساخراً:

ـ تشبيه مستعار. انت تعرفين ما أعني!
ـ اجل ولكني أتمنى ان تخبرني عن رأيك فيه.
ـ هل استولى على مشاعرك لدرجة لا تتمكنين معها ذكر اسمه.

هز كليف رأسه وانقطع فجأة عن اغاظتها وتابع:
ـ سأخبرك عن رأيي. انه الرجل الذي اود ان يكون بجانبي في الملمات، اما عن رأي النساء فيه فهذا شيء آخر.
ـ انت بارع في الحكم على الناس.
ـ نعم ولكن لا رأي لي في النواحي الأخرى.

ضمت فيونا يديها بشدة وشرد ذهنها ولكن روجر ظهر فجأة أمامها قبل ان تتمكن من النطق بشيء ثم قال والشك يراوده:
ـ ماذا كنتم تقولون عن...

قال كليف بتهكم:
ـ انت لا تزال صغيراً يا فتى.

ثم مضى تاركاً فيونا مع الرجل الوحيد الذي لا تود الانفراد به في هذه اللحظة بالذات، وقابلت نظراته العاتبة بآهة دلّت على تبلبل أفكارها. ستتوتر اعصاب روجر من جديد. أمسك بيدها وسار معها الى جانب التمثال بعيداً عن الآخرين وقال:
ـ شكراً جزيلاً لهذه الخلوة. اسمعي يا فيونا. الا تزالين غاضبة بسبب ما حدث هذا الصباح؟ لم يتسن لي التفكير في أمر الخاتم الاّ أخيراً. كان عليّ الاّ أفعل شيئاً بحضور كليف

وجوناثان. وعندما التفت الى الوراء ورأى دون فيليب يدعوها بكل أدب الى غرفة الطعام، قال بخيبة أمل:

- انسحبي بعد تناول الطعام الى غرفتي حيث اكون بانتظارك.

وافقت لأنها لا تستطيع الاختيار ودخلت قاعة الطعام المضاءة بالشموع وجلست على المقعد المجاور لمضيفها اثناء المأدبة ثم اخذت فيونا تسائل نفسها لماذا تشعر فجأة بميل للمعاكسة وسرعة الغضب وعدم الاستقرار وتعقيد الأمور؟ ربما السبب تغيير المناخ.

عاد الحديث يدور لحسن الحظ حول البعثة ولربما طال حتى الصباح لو لم يبادر عمها الى لفت نظرهم لضرورة النوم المبكر للنهوض باكراً في صباح الغد. فتفرق القوم، لكن فيونا لم تشعر بميل الى النوم. ودّعتهم جميعاً مع ابتسامة خاصة لدون فيليب، وعندما دخلت غرفتها تذكرت موعدها مع روجر. ارادت اولاً ان تصرف النظر عن الموعد لأنها تستطيع التحدث اليه غداً على الطائرة، لكنها آثرت ان تفي بوعدها لأنه سيأتي بنفسه اذا لم تذهب اليه. كانوا في ما مضى يتبادلون دخول غرف بعضهم البعض اثناء اجتماعهم في الاجازات او لدى تبادل الزيارات بين العائلتين، لكنها الآن تتردد على غير عادتها بالانفراد بروجر لولا انها تشعر بواجب الاعتذار له عن تطاولها عليه في الصباح.

خرجت الى الرواق الخالي من الناس وكان باب غرفة عمها

مفتوحاً، فسمعته يتحدّث مع كليف، فمضت تبتسم ساخرة من اقتراح عمها بالنوم المبكر.

قرعت باب غرفة روجر بلطف وفتحته قليلاً ثم نادته:

ـ هل استطيع الدخول؟

لم تتلق رداً فورياً فظنت ان الغرفة خالية لكن روجر أجاب بعد برهة:

ـ أنا هنا.

ثم رأت خياله ينحني على حاجز الشرفة وعندما وصلت بخطى بطيئة الى جانبه قال لها:

ـ اليست هذه ليلة رائعة؟ ليت لنا مثل هذه الليالي في بلادنا عوضاً عن مناخ شتاؤه طويل بارد وصيفه قصير ورطب.

اومأت برأسها وهدأ روعها وهي تنظر عبر الشرفة. الهواء ساكن تماماً لكن حرارة الجو الملطفة تبعث على ارتياح كبير. قال لها مستغرباً:

ـ هناك من يسبح في منتصف الليل، الا ترين؟ انه جوناثان.

لم تتمكّن من التعرف على السابح من بعيد مع ان نظرها ألف الظلام الآن. قالت بهدوء:

ـ انه انحف من جوناثان. كليف والعم فيل يقصان القصص وينفثون دخان السيجار الفتاك في الهواء حتى تكاد رائحته تصل الى هنا. لقد سمعتهم في غرفة العم فيل وانا بطريقي اليك.

ـ اذن يجب ان يكون ماكس كريستبرن- قال روجر وانحنى قليلاً فوق حاجز الشرفة ثم تابع ساخراً- لا ادري كيف سيتمكّن من تدبر الامور، انه يشبه الصورة التي كونتها عنه، لكنه في الثلاثين وأصغر ممّا تصورت. ما رأيك فيه يا فيونا؟ يظهر انه مغرور وقاس لا يقبل الجدل.

أجابت باقتضاب:

ـ اني آسفة يا روجر على تطاولي عليك بشأن الخاتم. لقد اخطأت في ابداء اعجابي به ولم يدر في خلدي بأن ثمنه مرتفع وليس باستطاعتي ان ادعك تشتري لي هدية ثمينة كهذه، اني آسفة.

ـ لم أقصد تقديم هدية او تذكار فقط. أردته شيئاً أكثر من ذلك. . . اواه يا فيونا. اعلم بأنني لا استطيع طلب يدك حالياً. علي الانتظار سنة اخرى على الاقل كي اصبح في وضع مالي سليم يؤمن لك ضمانة كافية. . . ارجو ان نكون على تفاهم تام ولذلك عدت بعد الظهر واشتريته واتمنى ان تلبسيه حتى تتم الخطبة الرسمية.

فتح العلبة وأخذ الخاتم ووضعه في أصبعها فاستفاقت من دهشتها. قالت:

ـ كلا. . . مهلا يا روجر لا ادري ماذا أقول. . أنا لا استطيع قبوله. ليس بهذه الطريقة، انت تستعجل الأمور.

وقع الخاتم على أرض الشرفة فانحنت لتلتقطه وقالت:

ـ كلا يا روجر يجب ان نتفاهم قبل كل شيء. بحق السماء دعنا ندخل ونهدأ قليلا.

دخلت الغرفة قبل ان يتفوّه بكلمة ووضعت الخاتم الفضي على طاولة الزينة ثم جلست ودعته للجلوس. مضيفة:

ـ استمع الي يا روجر، اليس السائد ان تسأل الفتاة رأيها اولاً عوضاً عن الافتراض بأنها سلفاً تفهم وتريد وتحب كأنه امر مفروغ منه.

ـ لكنك تعلمين بحبي لك واظن اننا متفاهمان والآن القضية قضية وقت الى أن...

أجابت بحدة:

ـ هذه هي المسألة. لم نتفاهم على اي شيء بعد، على الاقل بالنسبة اليّ. بحق السماء كن صادقاً مع نفسك يا روجر، لم يكن بيننا اي شيء سوى عواطف عائلية. ولم يبدر منك ما يدل على انك تحبني حباً جارفاً الاّ اخيراً.

ـ لم استطع ان افعل ذلك الاّ بعد تخرجي من الجامعة وكنت انت لا تزالين صغيرة.

لقاطعته قائلة:

ـ شكراً. انت اكبر مني بسنتين فقط واصغر مني بعشر سنوات من حيث النضوج. اوه يا روجر لا اريد الاساءة اليك ولكنني لم افكر فيك من تلك الزاوية. انت عزيز عليّ...

روجر هل انت جدي في هذا الموضوع؟
اجاب بكآبة:
ـ جدي جداً. انما انت لست كذلك. اردت التحدث معك قبل مغادرة الوطن ولكنني فضلت الانتظار بسبب المشاغل والزوار ومرض والدك. لكن عندما تناولت الخاتم الفضي هذا الصباح وأعجبتك صياغته شعرت انها علامة على انك.. على انك...

ثم انقطع الكلام وصر على اسنانه ووضع الخاتم في راحة يده كأنه يزنه واستدار فجأة وقال:
ـ الا تلبسينه؟
ـ كيف يكون لي ذلك؟ حاول ان تفهمني وخصوصاً في هذا الوقت. لست مستعدة للارتباط بأحد ولست واثقة من حقيقة مشاعري.
ـ كل ما أطلبه هو ان تلبسيه ولم أطلب منك جواباً فورياً.
سكتت واخذت تنظر الى الخاتم ودقة صياغته. قال:
ـ اشتريته لك وانت ترفضينه لذلك سأرميه في أول مجرى ماء اصادفه.

هذا هو أسلوب روجر في الضغط عليها، لم يتغيّر منذ طفولته.

هزت رأسها ووقفت منتصبة فجأة وقالت بحزم:
ـ لا يمكن ذلك. لا استطيع لبس خاتمك أو اعطاءك وعداً لا

افي به. أرجوك ان تفهم. لا اريد ان اجرح شعورك.

ـاذن فاحتفظي به حتى بدون اي وعد ولكني سأعود الى طلبي فيما بعد. هيّا خذيه. يمكنك ان تلبسيه في اليد الاخرى اذا شئت. المهمّ ان تلبسيه. وفضلا عن ذلك اذا لم يكن من حقي شراء تذكاراً لك بمناسبة الرحلة فمن يا ترى يكون صاحب هذا الحق؟

سمحت له ان يضع الخاتم في راحة يدها ويطبق أصابعها عليه رغم انها لا تزال مترددة ومنزعجة. قالت ببطء:

ـ حسناً ولكن شرط أن تعدني بشيء واحد.

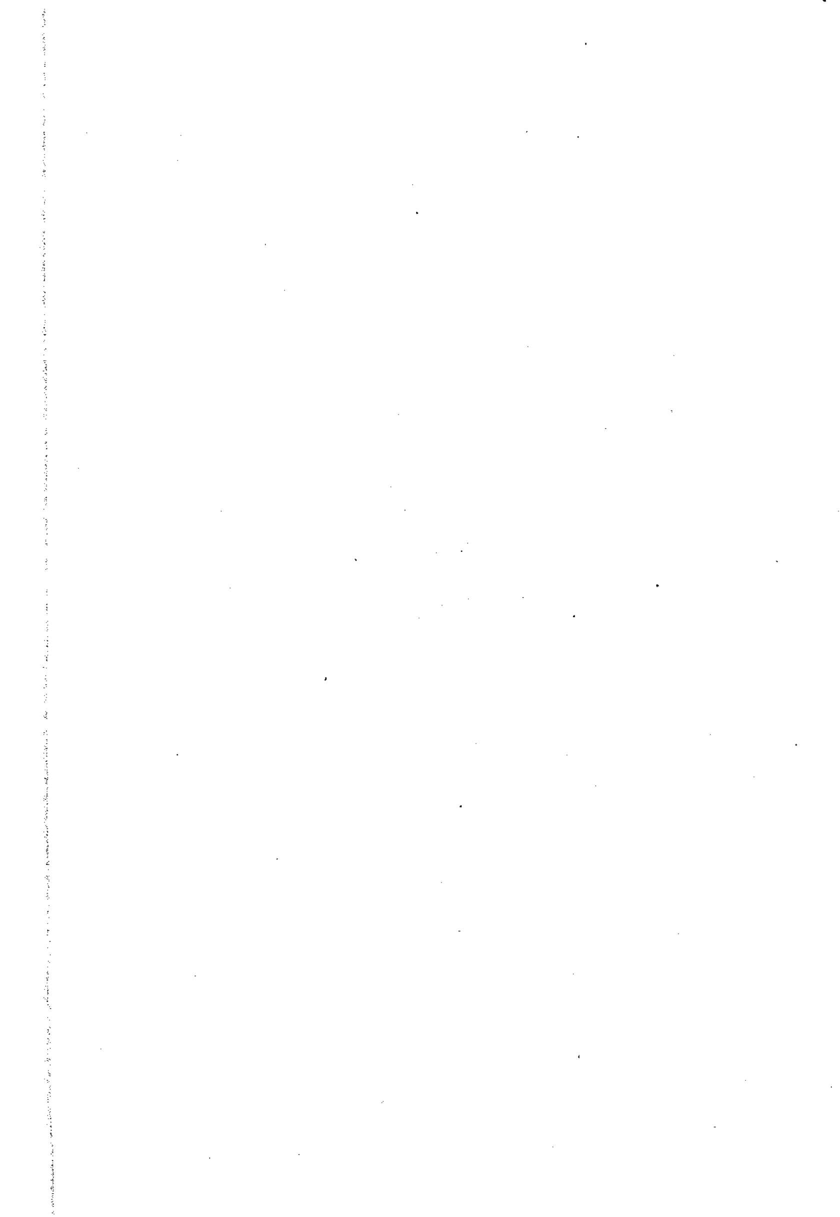
ـ ما هو؟

ـ ان تترك كل شيء على حاله حتى نهاية البعثة فأنا لا أريد ارتباكات عاطفية، لدينا ما يكفي من الامور المهمة ولا أودّ الخصام مع أحد.

ـ فليكن اذا كانت هذه مشيئتك حتى نهاية المهمة. لكن تذكري انني بالانتظار ولن ادعك تفلتين من يدي.

التفتت اليه وقالت:

ـ لا تنسى وعدك. كل شيء على حاله لحين العودة ولم يتغيّر شيء.



٢- فتاة مشاكسة

استيقظت فيونا صباح اليوم التالي قبل بزوغ الشمس وبقيت مستلقية لبضع دقائق ثم رفعت الغطاء جانباً وبادرت الى اضاءة المصباح. وبعد عشر دقائق هبطت الدرج وخرجت من الباب المؤدي الى المسبح. كانت حرارة الماء قد انخفضت اثناء الليل وأصبح الهواء رطباً ومنعشاً. تمددت في المسبح عائمة على وجه الماء وهي تفكر في امر الزواج من روجر واحتمال التعلق بحبه تعلقاً يدفعها لقبول طلبه اخيراً. كل شيء يتوقف على ما يرتجي الانسان من الحب. ربما كانت تحب روجر بدون ان تعلم. سبحت من أول الحوض الى آخره بينما كان ماكس كريستبرن يعبر الى المسبح وأشار اليها بيده قائلا:

ـ كنت أبحث عنك.
ـ أحقاً ما تقول؟
وأمسكت بقضبان درج المسبح خارجة من الماء ثم قالت:
ـ بماذا استطيع ان اخدمك يا سيد كريستبرن؟
ـ أريد اعادة الملف اليك وأقترح ان تعطيه لدون فيليب حفاظاً عليه حتى عودتنا. سوف نمضي عدة أيام في الغابة والرطوبة تفسد كل شيء.
ـ أجل هذا ما كنت سأقوله باستثناء الخرائط وملاحظات والدي التي أريد ان أستلمها الآن للاحتفاظ بها فهلاّ سلمت المفكرة والأوراق الأخرى لدون فيليب.
ـ ظننت بأنك كنت تودين ان تفعلي ذلك بنفسك لتتأكدي من أنني أعيدها اليك سالمة فهي ثمينة وقيّمة.
صمتت فيونا مؤقتاً فيما كان ماكس يسحب الأوراق المطلوبة. ثم قالت غاضبة بصوت خافت:
ـ مهلا... أتظنني اشك بأنك لا تعيدها سالمة أم أنت تسخر مني. لا أدري ما المقصود ولا أحب ذلك.
ـ أجاب ماكس:
ـ حسناً عرفت قصدك انما ظننت بأنك ستقبلين كلمتي بالنظر لما عرفته عنك من خلال حديثك مع رفاقك أمس. ربما كنت مخطئاً وفي مطلق الأحوال اعتذر لما بدر.
ثم قدم لها الأوراق التي أرادت وقد اتضح ان الموضوع

انتهى، ولكن ببرود.

نظرت الى الأوراق بدون ان تحرك ساكناً لاستلامها، ينتابها الاحساس بالانفعال والسخط. لم تكن معتادة على هذا البرود من احد، لكنها في هذه الحالة لم تتمكن من ترك الأمور على علاتها فقررت ايضاح كل شيء. لذلك سارعت الى القول:

ـ اسمع... أنا لا أريد الخصام معك اومع سواك خصوصاً بالنظر لما ينتظرنا من أعمال كثيرة تستدعي الاهتمام. اعلم بأنني نسيت حضور الاجتماع في موعده المحدد ليلة البارحة وقد جعلتكم تنتظروني. أنا آسفة لما حدث وكان بالامكان الاعتذار فوراً لو انك... ولكن أنت... آه لا عليك.

أحست بالارتباك والغضب بينما وقف هو بدون مبالاة وهمّت بانتزاع الملف فأمسك به وقال:

ـ كلا، لا فائدة من هذا الموقف. اجلسي قليلا ولنتصارح. انا لا أود ان تخاصمي احداً على الأقل مع نفسك للأسباب ذاتها التي أشرت اليها، وأعترف بأنك آخر شخص توقعت رؤ يته لدى وصولي البارحة.

حدقت به وقالت:

ـ آخر شخص؟ ماذا تعني؟

ـ عندما علمت مصادفة وبأسف بالغ مرض والدك وأن ابنته ستنضم الى البعثة، توقعت ان أرى شخصاً مختلفاً ولا تسأليني عن السبب. وفوجئت بوجود شابة يافعة.

ـ يعني انك توقعت رؤ ية امرأة قوية خشنة العود. وبما انني لست كما توقعت، استنتجت بانني صغيرة وطائشة. حسناً. . . لأؤ كد لك العكس وسأبرهن عن ذلك اذا سنحت لي الفرصة. فلست وحدك من هذا الرأي، اذ لم يوافق احد من أهلي على انضمامي الى البعثة في البداية وجاؤ وا بشتى الحجج، الى ان اقتنع والدي وكليف بصواب رأيي وبأنني أستطيع تدوين سجل كامل عن الرحلة مثل غيري. وقد اتفوق على سواي لمعرفتي بلغة والدي.

توقفت لاهثة فقال ماكس:

ـ حسناً. . . افهم ذلك ولكنها رحلة شاقة لفتاة مثلك، لا شك بمقدرتك على اعداد سجل شامل. فهذه موهبة تتميز بها النساء ولكني ما زلت أؤ من بأن الرحلة ستكون شاقة بالنسبة اليك.

ـ أعلم هذا وآمل الا تقلق. اسأل الرفاق عني فسيجمعون على صلابة عودي وتحمّلي للمشقات. . . فهل قبلت؟ ولنباشر عملنا بعد هذه المقدمة الصعبة.

ابتسم للمرة الأولى ونهض قائلا:

ـ لم تتركي لي الخيار ولا أريد ازعاجك ولكن. . .

ـ اذن فقد تصالحنا.

ثم مدت يدها فتلقاها بترحاب أزال الكثير من مخاوفها النفسية. وقد تستقيم الأمور فانه رجل انساني كما يبدو.

ابتسمت فيونا وكادت ان تضيف شيئاً لولا سماعها وقع أقدام روجر قادماً نحوها يتبعه دون فيليب فاحتفظت بالأوراق وناولته الملف قائلة:

- ارجو اعطاء هذا الملف لدون فيليب بالنيابة عني، وشكراً.

وأخيراً انطلقت البعثة في طريق المطار. ركب ماكس وكليف مع الحقائب واستقل الآخرون سيارة دون فيليب. فيونا جلست في مقعدها ثم نظرت الى ساعتها. لم تكن قد بلغت تمام التاسعة بعد لكنها شعرت بأن نصف النهار مضى بانقضاء الساعات الثلاث الأخيرة. كان روجر يجلس بجانبها. امسك بيدها قائلا:

- أين هو؟

فاسرت اليه:

- في مكان أمين. وسحبت يدها من يده ثم تابعت: انه خاتم من الفضة الخالصة يتخدش بسهولة ولا أريد له العطب او الضياع.

هي تعلم بأنه لا يرضى بهذا الجواب لكنها لا ترغب بالعودة عن قرار اتخذته عشية البارحة. وفجأة تساءلت، هل ستستمر ممتنعة عن الارتباط بأي وعد حتى نهاية الرحلة؟ وتمنت لو انها لم تقبل الخاتم منه ابداً.

انقطع حبل تفكيرها أثر وصولهم الى المطار وانهماكهم بالمعاملات الرسمية ثم بتوديع دون فيليب، والكشف عما اذا

كانوا نسوا أشياء أخرى مهمة.

لمس روجر ذراعها وقال:

ـ هيا بنا ندخل الطائرة فقد مللت الانتظار هنا.

أجاب كليف:

ـ انهم ما زالوا بانتظار هارمون مصوّر البعثة.

وطارت الداكوتا بعدما اكتمل العدد تحلّق فوق الوهاد والغابات الخضراء والأنهار المتعرجة التي برزت كأنها رقعة من الأرض مكسوة بسجادة خضراء.

ثم هبطت الطائرة برفق في مطار سان كيتوس فاستعادت فيونا حماسها ولم تأبه لما ينتظرها من مشاق السير الى مدينة فاكواما على ظهور البغال بين الأدغال فهنا يوجد المدخل الى الوادي السري حيث تختبىء الزهرة.

لم تكن سان كيتوس سوى قرية جبلية لا أثر فيها للفنادق، لكن دون فيليب كان قد تدبّر أمر الغداء مع السنيور بيدرو مدير مزارع البن. وكانت سيارته الخاصة وسيارة أخرى كبيرة وشاحنة المؤن بانتظارهم قرب المدرج حيث استقل الركاب سياراتهم يقصدون فيلا الدون بيدرو عبر طريقها الوعرة تاركين أمر الاشراف على انزال حمولة الطائرة لماكس وروجر.

انصبّ اهتمام السنيور بيدرو على راحة ضيوفه متأثراً بما عرفه عن شوق البريطانيين الى كوب الشاي المثلج بعد تعرضهم للرطوبة الخانقة.

تابعت البعثة سيرها في الساعة الرابعة في شاحنات مزعجة وطريق وعرة فوصلوا بعد ثلاث ساعات الى هوامانو حيث كان ينتظرهم دليلان من كوشوان لمرافقتهم مع بغالهم المحملة الى فاكواما وهناك أقامت البعثة اول مخيّم لها.

كانوا مرحين وروحهم عالية في اليوم الأول ولكن ذلك لم يدم كما تنبأ كليف، اما فيونا فقد قامت، ادراكاً منها بمسؤوليتها، باعداد وجبة لاطعام سبعة أشخاص جائعين علماً بأن يد المساعدة لم تنقصها حتى الآن.

جلست فيونا على حصيرتها بعد ذلك تفكر في الغد وركوب البغال.

تلفتت حولها عندما سمعت ملاحظة عن شدة الرطوبة فوجدت جورج هارمون يسير بجانبها تاركاً مكانه في الصف للحاق بها وقال:

ـ أراهن أنك أصبحت تتمنين لو انك لم ترافقينا.

أجابته بدون ان تبتسم له:

ـ اني واثقة بأن العكس هو الصحيح.

لم تكن قد تعرّفت عليه جيداً ولم تجد ما يدفعها لذلك.

قال هارمون:

ـ لا تتصرفي بهذا الشكل يا عزيزتي معي. فأنا غريب في المخيّم ولا أتمنى بقائي غريباً.

ـ نحن جميعاً غرباء هنا.

ـ حسناً، الحق معك.

ندمت على جوابها القاسي فقالت:

ـ لا أعلم ما يدور في خلدك يا سيد هارمون ولكنك تخطيء اذا ظننت بأن بيننا من يتعمد مجافاتك.

ـ كلا... انه التحفظ الانكليزي التقليدي، وبالامكان التغلّب عليه قريباً.

ثم نزل واقترب منها لكنها ابتعدت عنه بسرعة وقالت:

ـ بامكانك مساعدة جوناثان.

تابعت القافلة سيرها في الغابة الكثيفة. من حسن حظ فيونا ان هارمون بدأ ينزعج من الحرارة والذباب. اما روجر لم يكن أحسن حالا منه بسبب الرطوبة وكذلك فيونا التي نسيت هارمون اما هو فلم تبرح ذهنه.

توقفت القافلة في المساء ونصبت خيامها للراحة. لم يشعر احد بالجوع فجلست فيونا على حصيرتها لتكتب فصلا آخر لوالدها كما فعلت في الليلة السابقة، لكن روجر ذهب اليها طالباً منها ان تنضم اليهم. لم ترَ أثراً لماكس ولم تشاهده الا قليلا أثناء محطات التوقف السابقة فآثرت ابقاء الوضع على حاله بالنسبة اليها.

ـ اذن فأنت تختبئين هنا.

قال هارمون ثم جلس على طرف الحصيرة متكاسلاً وبدون استئذان فتراجعت قليلا مما سبب سقوط المصباح الكهربائي

عن أمتعتها لكن هارمون التقطه قبل وصوله الى الأرض وأعاد تركيزه ثانية وأثناء ذلك وقع الضوء على حقيبة المراسلة فلفتت انتباهه.

أغلقت فيونا الحقيبة فابتسم وقال:

- ظننت بأنك تتأملين تلك المفكرة القديمة الشهيرة. هل تعتقدين بجدوى عملية هذه النبتة السحرية؟

- لو لم يكن ممولو الرحلة يعتقدون بوجود شيء ما لما دفعوا النفقات اللازمة.

- أظن ذلك. ولكن كان بامكاني العثور على غرفة في فندق مريح هذه الليلة عوضاً عن هذا...

- أين كان يمكن لك ذلك؟

- في معرض تجاري في سنسناتي.

- ولكنك تعمل مع ليلهوم كروس مثلنا جميعاً.

- انا لا أعمل الا لمصلحتي الخاصة.

قال باستهتار أثار حيرتها وجعلها تصمت، أما هو وقد سرّه وقع تصريحه عليها فأخذ مجة من سيكارته وتابع:

- اني مصوّر مستقل تمكنت عن طريق زوج أختي الذي يحرر مجلة ليلهوم كروس الخاصة من جعلهم يكلفونني بتغطية هذه العملية القذرة فوتوغرافياً. ما قولك لو اخبرتك بأنني سمعت قبل جماعتك بزمن بعيد بالزهرة المسماة زهرة الخلود.

- أنت؟ كيف سمعت بها؟

ـ انها قصة طويلة. أستطيع القول بأن هناك من توصل اليها قبل عشرين سنة.
ـ اذن لماذا لم يقم احد بالأبحاث اذا توفر الدليل.
ـ لأن رؤ ساء ليلهوم كروس لم يأبهوا لكلام جواب الأفاق تائه على شاطىء فرانسيسكو.
تساءلت فيونا وهي تطرد الحشرات عن المصباح عن القصة التي سمعها هارمون وعن ماذا يتكلم؟ لقد قام والدها بتحقيقات دقيقة وواسعة حتى ان شركة ليلهوم كروس في اميركا وفرعها في البيرو اعترفا بعدم وجود أي معلومات لديها. اذن فمن أين حصل هارمون على هذه المعلومات؟ أتراها من مصادر اوروبية لأنه لا يمكن ان يكون هناك أكثر من زهرة خلود واحدة. قال هارمون:
ـ طبعاً قد يكون هناك شيء ما ولكنني أشك بأي صلة بين الاثنتين.
ـ ما هو رأي ماكس؟
ـ ماكس. . . أتقصدين كريستبرن؟ أتظنين بانني ساعرض نفسي عليه؟ أود التحقق من معلوماتي قبل التفوه بكلمة.
ـ علينا ان نتعاون في جمع المعلومات.
ـ مهلا يا عزيزتي، فأنا أردد فقط ما سمعته، في كل حال اذا كان في الأمر شيء فانه . . بناء قصور في الهواء اعتماداً على هراء تفوّه به رجل أحمق، ومع ذلك أتمنى الاطلاع على تلك الأوراق

القديمة التي بحوزتك لأرى اذا كانت معقولة.

في هذه الأثناء دخل ماكس فجأة وقال:

- هارمون أراك هنا وقد حان وقت النوم... يكفي لهذا اليوم ـ وبقي واقفاً بحزم للتثبت من ذهاب هارمون الذي وقف متأففاً وقال:

- هل تعتقد بأننا مراهقون هاربون من المدرسة.

- تستطيع ان تفعل ما تشاء ولكني أريد ان ترتاح الآنسة أثناء الليل.

- بالتأكيد... سنلتقي غداً ونتحدث عن الموضوع ثانية.

ثم غادر المكان وعندما لفه الظلام قال ماكس لفيونا:

- هل يضايقك؟

- كلا...

- يبدو انك واثقة من ذلك.

- حسناً.. لا استطيع رفض الزيارات.

- ربما، لكنني لا أستطيع ان أتخيلك تتوددين الى هارمون أو سواه رغم ارادتك.

- لم أرفض صداقة أي كان.

- لم أقل ذلك.

اجتمع الرفاق في زاوية أخرى حول نار المخيّم ومعهم كليف الذي أوشك على الانتهاء من التدخين قبل الذهاب الى الفراش. عندئذ اطفأ العم فيل غليونه وتبادل مع فيونا تحية

المساء فقالت:

ـ نعم مساء يا عمي.

وغابت الابتسامة عن ثغرها عندما رأت ظل ماكس خلفها ثم هز كتفه ومضى. فنادته:

ـ ماكس!

ـ نعم.

ـ هناك شيء...

ـ هل هناك ما يقلقك؟

ـ ليس مقلقاً بالضبط بل حشرية.

ـ يجب ان تخبريني. تعالي نقوم بدورة حول المكان.

وعندما رآها تحدق في الظلام الدامس تابع:

ـ لن أدعك تضيعين.

اضاء المصباح وهو يضحك. ثم روت له ملخصاً لحديثها مع هارمون. وزادت:

ـ لا أعلم شيئاً عن قصته ولا من هو الرجل الآخر، لكن اري وجوب العمل على جعله يبوح بسره.

ـ قد يكون أراد ذلك لو لم أقاطعه.

ـ بالضبط واستطيع القول بأنه لم يكن ينوي اعطائي معلومات اضافية بل كان يحاول أخذ ما يستطيع مني.

ـ لماذا؟ ليست الزهرة سراً او لغزاً على ما أعلم، فيما عدا صعوبة الوصول اليها حيث نأمل ان نجدها، ولا شيء غير

عادي في البحث داخل الأدغال عن نباتات تعطينا نتائج مدهشة عند استعمالها علمياً. لقد سبقنا المصريون بأجيال عديدة الى استخراج دواء من الخشخاش يزيل الآلام قبل اكتشاف المورفين من المصدر نفسه.

توقف قليلا وهو يقلّب المصباح في يده على الاعشاب والأغصان المتشابكة ثم تابع بعدما هز رأسه:

ـ اني عاجز عن معرفة قصده لأنها ليست ضمن نطاق عمله، وهو لا يستطيع الا اذا كان يعرف الفرنسية او الالمانية واستنتاج أي شيء مهم منها الا لغايات فوتوغرافية.

ـ لا أظن بأنه كان يريد ذلك. على كل سيطلع عليها بنفسه قريباً وذلك في حال وجودها. قالت فيونا وتقدمت نحو جذع شجرة ضخمة ثم تابعت:

ـ لكنني أشعر نحوه، لا تسألني لماذا، بشعور غامض لا يعجبني.

ـ هناك شيء ما حول هارمون لا يعجب احداً منا ولكني ما زلت غير مقتنع. ثم قال بحزم:

ـ لا تفعلي هذا.

ـ ماذا؟

ـ الجلوس. انها مليئة بالنمل الأبيض.

ـ المكان يعج بالنمل الابيض وبملايين الأنواع الأخرى.

ـ هيا بنا نعود! أعتقد بأنك نسيت شيئاً ما.

ـ ماذا؟

ـ انت الفتاة الوحيدة بين أفراد البعثة. . . منذ متى وأنت ترتدين هذا الثوب؟

ـ طوال النهار لأنه خفيف. ولكن ليس هذا موضوع الاهتمام.

ـ كلا أصبحت أتساءل عن الموضوع الذي تعرفينه وبالتالي لا تكرري ما فعلته اليوم، أنت تعرفين قواعد اللباس.

فتنهدت. انه لا يهتم بهارمون ولا يعنيه سوى تطبيق التعليمات دكتاتورياً. قالت:

ـ حسناً درست الأمثولة حرفياً وسأعمل بموجبها والآن هل أعرض الأوراق على هارمون؟

ـ كلا أبداً. يجب معرفة نواياه أولا ولسوف نكون جميعاً الى جانبك عند اللزوم.

ـ لا تشغل بالك لن استنجد بأحد ولست بحاجة للحماية من هارمون او من سواه. انت مخطىء وأعلم ذلك كما أعلم ان هارمون يسعى وراء غاية ما.

وعندما اصبحا قرب المخيم قالت بصوت خافت:

ـ هل هناك شيء آخر تود معرفته؟

ـ لماذا يتوجب عليّ ذلك؟

ـ اذهب وابحث بنفسك. انت لا يهمك الا حفظ النظام. اما انا فاهتمامي ينصبّ على الغاية الأساسية وسأستمر

بالمساجلة مع هارمون الى ان اكتشف كل شيء لأني لا اعتقد بأنه هنا ليلتقط الصور فقط. تصبح على خير.

ـ مهلا. وأمسك بيدها ليمنعها من دخول الخيمة وأكمل: اسمعي يا آنسة يجب ايضاح بعض الأمور. ظننت في البداية انك في أعماق نفسك فتاة حساسة ومنطقية وان الرحلة سببت لك بعض الاستخفاف، وهذا أمر معقول، أما الآن فلست واثقاً من ذلك. لقد أصبحت رومانطيقية. انت تعلمين جيداً ان حاصل الجمع بين اثنين واثنين لم يكن ابداً خمسة لذلك دعك من كل هذا الهراء ولنتابع الرحلة بدون متاعب. سأراقبك من الآن وصاعداً للوثوق من تقيّدك بالقواعد التي يبدو انها لا تهمك. اني اصر على استلام تلك الأوراق وجميع نسخها لأجعلها بعهدتي. تعرفين مكانها عندما تودين العودة اليها. وأخيراً ابتعدي عن هارمون. وأنا شخصياً سأجعله يبتعد عنك. هل هذا واضح؟

حدقت به مندهشة ثم جهرت تقول:

ـ لنفرض اني اختار العكس.

ـ لا لن تفعلي اذا كنت منطقية.

هل هذا نوع من التهديد أم خيّل لها ذلك. لقد تبدل موقفه بسرعة لا مجال معها للتحليل. حشرية هارمون سببت كل ما حدث وهو يركز على ما جاء به هارمون.

سألته وقد قررت الا تتراجع:

ـ هل تخشى تطفلي ام رفضي؟
ـ التطفل يسبب المتاعب . اما الاعتراض الثاني فهو صبياني .
همت بالاعتراض لكن منظر الرجل الواقف بحزم أمامها حال دون ذلك . ثم دخلت الخيمة وأخرجت الأوراق من علبتها وسلّمتها اليه بصمت .
هز رأسه وودعها بصوت خافت ثم مضى ببطء مختفياً في الظلام .

٣- في قلب الأدغال

استفاقت فيونا متثاقلة تشعر بأعراض صداع يرافقه فتور همة مزعج، جعلها تتلكأ في ركوب بغلها عندما حان موعد الرحيل فعمرت نفسها الكآبة لمجرد التفكير بأنها ستقضي يوماً آخر من الانزعاج كالأمس. تناولت جرعة الملح اليومية بصعوبة واتبعتها بقرصين من الاسبرين وقد سرّها ان يكون كليف رفيقها لهذا اليوم فهو أكثر الرفاق مرونة وأكثرهم تفهماً لدرجة انه يتوقف عن المزاح عندما لا يروق لها ذلك. طرد كليف الحشرات التي تحوم فوق رأسه وقال بهدوء:

- لا تحزني يا عزيزتي فقد اقتربت نهاية الرحلة.

- أجل ونهايتي انا.

- هل ساءت الحالة الى هذه الدرجة. لقد أثّر عليك الحر الشديد كما أرى، لكنك ستشعرين بالتحسن عندما نصل حيث نستحم ونرتاح بما فيه الكفاية.

أومأت برأسها عوضاً عن الجواب لشدة التعب وتساءلت اين تلك الحيوية التي تباهت بها. البارحة كانت مرهقة ايضا ولكن ليس في أول النهار. ظهرت علامات الاعياء على الجميع ما عدا ماكس لأنه اعتاد تحمل هذا المناخ مما يدل على صلابته وقوته. انه بالتأكيد سوف يفي بوعده. اما هارمون فقد ظل وحده بعيداً عنها.

في هذه اللحظة التفت روجر الذي كان يسير في المقدمة برفقة جوناثان ولوح لها بيده فابتسمت بالرغم منها.

قال كليف:

- أتريدين ان أترك مكاني ليسير بجانبك؟

- كلا... أشكرك.

- هل تشاجرتما؟ مسكين يا روجر.

- انه يعترض دائماً ولا أتحمل ان يتسلط عليّ احد.

ضحك كليف في سره وساد بينهما الصمت وهما يتابعان السير تحت مظلة من الأغصان المتشابكة بكثافة لا تخترقها أشعة الشمس الا نادراً. خيل لفيونا ان الغابة أشد كثافة هنا وليس من دليل على قرب نهايتها. فالسكون المطلق والرطوبة الثقيلة تخنق الأنفاس وتشل الحركة ولكن ولله الحمد ستصل الى طرفها

بعد الظهر. توقفت البعثة عن السير بعد وقت قصير قرب أحد الروافد حيث باشروا بتصفية الماء آلياً. اما فيونا فكانت تتناول طعامها من المعلبات بصعوبة ملحوظة. لمحت ماكس يرمقها بنظرة عجلى بينما كان يتحدث مع عمها من مسافة قريبة فتوقفت عن الأكل. لماذا لا يستريح ماكس كالآخرين. فهذا كليف قد غطى وجهه لينام قليلا وروجر وجوناثان يدخنان وهارمون يتثاءب مغالباً النعاس. منظره وهو ينام أبشع من منظره وهو مستيقظ. ربما كان ماكس مصيباً. لقد حاول هارمون الايقاع بها وكم كان يسره لو صدقت روايته عن الزهرة واعتبرته جاداً.

أكملت تناول القهوة آملة ان تنعشها فتجمع الأواني وتنظفها. تفاقمت حالتها وازداد الصداع فأخذت مطرة الماء وسكبت قليلا منه على وجهها قبل ان تشرب بضع جرعات فاترة لا طعم لها. لم تتمكن من اعادة السدادة لأنها فقدت توازنها فألقت بها واستندت الى جذع شجرة لتستعيد قواها. سألت نفسها عن المسافة التي قطعتها الى الآن وقد خيِّل لها ان الصمت قد أطبق من حولها حتى صوت العصافير. كم بقي أمامها لكي تصل، يا للغرابة؟ الرقم ستة؟ بقي ستة أميال. . . عدد رجال الفريق ستة. ستة أيام منذ ان ابتدأت المسيرة. يجب ان تسير قدماً. لقد تركت رفيقها كليف الذي يكنّ لها الودّ بعكس ماكس. انها تتألم هنا ويجب ان تخفي حالتها عنه لأنه

سيرجعها اذا شعر بأنها حجر عثرة. عليها ان تصل الى خيمتها لكنها ستصاب بالاغماء اذا تحركت. كل شيء من حولها حار حتى جذع الشجرة. ليتها تجد مكاناً او شيئاً بارداً. جالت في مخيلتها شتى أنواع الصور والتخيلات والمخاوف الى ان حاولت النهوض واذا بيد ترغمها على البقاء مكانها:

ـ لا تقاومي.

ارتسمت صورة ماكس في خيالها لدى سماعها ذلك الصوت فحاولت الجلوس لكنها كانت ملفوفة بقطعة قماش مبللة بالماء وسمعت صوتاً:

ـ حافظي على هدوئك سأضيء المصباح.

عندما ملأ النور خيمتها رأت ماكس يركز المصباح فأخذت ترتجف تحت الغطاء المبلل. فاقترب منها ممسكاً بميزان الحرارة وسألها اذا كانت تشعر بتحسن الآن. فأجابت بالايجاب وهي تنظر الى ميزان الحرارة واليد التي تحمله. اقترب منها ماكس فأمسكت بطرف الغطاء عفوياً لكنه وضع الميزان في فمها وأمسك بمعصمها ليجس النبض. لزم الاثنان الصمت بعض الوقت احست خلاله بالخوف انها ليست حقاً مريضة قالت:

ـ ماكس ماذا وجدت؟ اخبرني أرجوك.

عاد ولما رأى دلائل الخوف على وجهها انفرجت أساريره، وقال:

ـ لقد أغمي عليك من شدة الحرارة بعد الغداء.

ـ لكنني لا أتذكر. كم الساعة الآن؟

ـ حوالى الثامنة.

ـ ألا نزال في المخيم؟

ـ أجل نحن لا نزال هنا.

ـ ماذا تعني بقولك نحن؟ أين بقية الرفاق؟

ـ استأنفوا السير وكانوا بأشد اللهفة الى الراحة والاستحمام وليس من المنطق ان نحرمهم ذلك بدون مبرر.

ـ ماذا سيحصل لنا؟

ـ سنلحق بهم غداً اذا سمحت حالتك.

ـ أنا على ما يرام الآن.

ـ ليس تماماً. اياك أن تفعلي ذلك ثانية.

ـ افعل ماذا؟ لم أتمكن من المقاومة.

ـ لم أقصد المرض انما عنيت التجول وحدك. استغرق بحثنا عنك ساعة كاملة. أعلم انك لا تذكرين ولا أتوقع العكس لأن حرارتك وصلت الى أبعد حد وكنت تهذين عندما وجدناك.

ـ لكنني لا أذكر. ماذا كنت أفعل حينذاك.

ـ نائمة.

ـ أذكر اني نمت وكنت أحلم بالثلج والسباحة في ماء بارد.

ـ هذا هو الدواء الذي استعملناه لمعالجتك اضطرارياً. تعلمين يا فيونا بأنه عندما ينهار شخص لم يتأقلم مع المناخ الاستوائي الحار، يجب ان تنخفض الحرارة بأسرع ما يمكن لأن مقاومة الجسم للحرارة تتوقف في هذه الحالة. وقد تؤدي الاصابة الى الموت وبما اننا لا نجد ثلجاً هنا، لفينا الشرشف حولك وبللناك بالماء حتى الاغراق. والبرهان على فعالية هذه المعالجة البدائية ان حرارتك عادت طبيعية وتحسنت حالتك.

كانت تتابع حديثه بدقة فسألته:

ـ كأنك طبيب.

ـ أجل، لكنني تحولت الى مهنة أخرى الآن. لقد أمضيت ثلاث سنوات في مستشفى بوسطن بصفة طبيب ملازم بعد انفصالي عن العائلة.

ـ أين يقع منزلك؟

ـ حيث أكون.

لم يكن جوابه كافياً لكنها آثرت عدم الاستيضاح لأنه لا يريد الادلاء بشيء. نهض واقفاً وهي تراقبه بصمت وسكب كوباً من الماء المصفى وناوله لها مع قرصين. قالت:

ـ أرجوك. لا أريد المزيد من الملح.

ـ هذا صوديوم كلورايد.

ثم ابتسم بعفوية اكسبته جاذبية لم تعهدها فيه من قبل.

تنهدت وشربت الماء والأقراص ببطء وهي تنظر اليه من أعلى الكوب ثم تساءلت في سرها لماذا لم تلاحظ جاذبيته فاحمّرت وجنتاها. ولما انتبهت الى أنها تمسك بكوب فارغة وضعتها بسرعة كيفما اتفق فسقطت من يدها. امسك بالكوب وهي تتدحرج وعندما نهض واقفاً عادت لوجهه ملامح الصرامة المعهودة فتناول حزمة من الحزم وجاء بها اليها. قال:

ـ نستطيع التوقف عن المعالجة والأفضل ان تنامي ولا تنسي الشبكة.

وعندما غادر الخيمة فتحت الحزمة فوجدت حاجياتها اليومية مرتبة بعناية فائقة. من الذي قام بذلك؟ هل هو ماكس؟ استلقت تسترق السمع لأي حركة لكن أملها خاب. الى أين ذهب؟ هل سيتركها وحيدة حتى الصباح؟ قد تصاب بنكسة بالاضافة الى كونها بحاجة للطعام. سمعته يقول:

ـ هل انت مرتاحة؟

ـ اجل.

ونظرت فرأته يدخل تاركاً باب الخيمة مفتوحاً يحمل بعض الطعام ووسائل الطهي الضرورية ثم قال:

ـ أخشى الا يكون هذا كافياً فلم استطع الاحتفاظ الا ببغلين وعلينا الاكتفاء بما تيسر لكنني هيأت قليلا من الشاي.

ـ لا بأس انها كافية. نحن محظوظون هذه الأيام اذا قارنا أنفسنا بالمسافرين القدامى.

ابتسم. لكنه بقي صامتاً ثم تناول العلب وناولها قليلا من الشاي مع الحليب المجفف قائلا:

ـ والآن سأذهب. اشربي هذا متى شئت وسآخذ هذا المصباح تاركاً معك المصباح الآخر. لكن أخلدي للنوم بأقرب وقت.

ـ شكراً. ولكن الى أين تذهب وهل تركك الرجال بلا مأوى؟

ـ لن أكون بعيداً عنك.

ـ أرجو ان تنتبه للأفاعي اذا كنت ستنام في العراء.

ـ لا تقلقي فالأفاعي لا تؤذي كما يظن البعض. ابتعدي عنها تبتعد عنك. تصبحين على خير.

وابتسم فجأة ثم ذهب. بقيت مستيقظة وقتاً طويلا تقلب أفكارها. ثم أطفأت المصباح لتنام وشعرت انها ليست وحدها ولا خائفة بل مطمئنة.

وصلوا الى الارسالية عشية اليوم التالي لكن الطمأنينة التي شعرت بها فيونا سابقاً فارقتها منذ وقت طويل. فحصها ماكس للوثوق من قدرتها الصحية قبل اللحاق بالركب وأصر على تناول اقراص الملح المقررة يومياً مع كثير من الماء الذي كان قد صفّاه بعناية وجهد، ولم يأبه لاعتراضها على الاكثار منه بحجة انه يفسد الشهية ويسبب الغثيان. قال حازماً:

ـ هذا غير صحيح وأنت تعلمين انه ضروري جداً لاتقاء

المرض.

نظرت الى كتفيه العريضتين أثناء انحنائه فوق الرزمة التي كان يحضرها، وحاولت كبت مشاعرها فيما راحت تتدبر بجهد وسرعة أمر رزمتها. كان يراقبها في هذه الأثناء وقد بدا على وجهه التململ. ولما نهضت قال:

- ألم تتعلمي كيف تحافظين على قواك.

- طبعاً.

- اذن لماذا تبددينها بهذا الشكل.

- أضعنا الوقت بسببي ولا أريد اضاعة المزيد منه. والآن دعنا ننزل الخيمة.

- على العكس لدينا الوقت الكافي فاجلسي بينما أقوم بترضيب الخيمة.

- لا أشعر بالتعب وقد أخذت قسطاً وافراً من الراحة.

- قد يكون ذلك صحيحاً...

اندهشت عندما اقترب منها ومسح حاجبها باصبعه ووضعه أمامها لترى بوضوح آثار الرطوبة. قال:

- لن تتمكني من التعود على المناخ ولا أريدك ان تمرضي من جديد.

جلست بالرغم منها على احدى الرزم فقد اتضح لها بأنه يستطيع تنفيذ أوامره حرفياً.

اقتصر الحديث بينهما أثناء متابعة السير على الضروريات

وعندما بدأت الارسالية تظهر للعيان توقفت ونظرت نحو الارسالية ذات الجدران البيضاء التي ستنتهي عندها رحلتهم.

كل شيء كان هادئاً ولطيفاً تحت أشعة الشمس المائلة للغروب. لكنها شعرت بفتور الهمة يعاودها فجأة فتأوهت. ترجلت وتناولت حزمتها بينما كان ماكس ينزل حمولة البغل الثاني. لقد سار النهار بطوله على قدميه رأفة ببغله المرهق بالحمولة، ورافضاً بشدة اقتراحات فيونا المتكررة بأن يأخذ مكانها بالمناوبة.

غمرها فجأة شعور بالذنب وتأنيب الضمير. انها تخطىء ان افسحت مجالا لمبادلته العداء الذي يبدو انه يثيره بسهولة غريبة. انه يولي مصلحة البعثة كل اهتمامه، وهذا ما يجب ان تفعله هي ايضا، فهو يخفي مشاعره الانسانية تحت قناع حديدي من الغطرسة.

استاقت بغلها الذي أوصلها سالمة الى جرن الماء لكي تسقيه برفق، وابتسمت لماكس لكنه نظر اليها متفحصاً بلا مبالاة. قال بعد ان أخذ اللجام من يدها:

ـ يكفي... اعتقد بأنك عدت الى المكابرة.

ـ المكابرة؟ لا أعلم شيئاً عن المكابرة؟ ولا أظن بأنني سأبقى جالسة بدون عمل لأسابيع طويلة.

ـ اذن فأنت على عتبة موقف صعب وطويل الأمد فهل أنت جدية؟

ـ اني كذلك بالتأكيد.
ـ هل ازعجك ركوب البغال؟
ـ بعض الشيء. لم أفعل ذلك من قبل. ولكنني أعتقد بأن بضعة أيام أخرى ستكون ذات تأثير كبير.
ـ ليتني أعلم سبب تضحيتك براحتك ودعوتك لي لتناوب ركوب البغل. لا بأس سنزود الارسالية اذا اسعفنا الحظ بالماء الحار وبشيء يشبه المغطس تتمكنين باستعماله من ازالة تأثر ركوب البغل- وتلفت ثم هتف: هذا هو الأب لورنزو برفقة الفريق يرحبون بك.

لم تنم معالم وجهه عن أثر للسخرية واستمر صفاء الجو بينهما.

هرع الرجل المسن الممتلىء الجسم الى لقائهما مرحباً يتبعه الآخرون الذين ما ان وصلوا حتى أحاطوا بفيونا وأمطروها بالاستفسارات الودية عن صحتها وشفائها ما عدا عمها الذي قال وهو يتفحصها بنظره:
ـ شغلت بالنا يا آنسة. ما الذي دهاك حتى أخذت تتجولين بعيداً؟ ولماذا لم تخبريني عن الحمى التي أصابتك؟
فقال ماكس جهاراً:
ـ غالباً ما تحدث هذه الأشياء وما أصابها قد يصيب أي واحد منا.

لم تكن استضافة سبعة أشخاص في الارسالية الصغيرة بالأمر

اليسير على الأب لورنزو رغم انه لم يلمح بشيء. خصصت الغرفة المجاورة لعمها وماكس معاً. اما البقية فكانوا في المستوصف الصغير الكائن بطرف البناء الآخر وقد سرّ بذلك كليف لأمر في نفسه. قال الأب لورنزو ضاحكاً:

ـ لدينا ممرضة واحدة وهي هندية قوية البنية.

ثم أخبرهم أثناء تناول طعام العشاء البسيط شيئاً عن أعماله الانسانية كانوا قد مروا على قرية هندية بطرف الغابة في آخر أيام الرحلة فرأت فيونا بأم عينها حالة السكان المزرية وأوضاعهم المعيشية والاجتماعية والصحية. ماذا يستطيع رجل بمفرده أن يقدم لهم سوى الأمل؟

راح ماكس يسرد القصة من ألفها الى يائها على الأب لورنزو وختمها بوضع المفكرة والخرائط بكل هدوء أمامه. خيّم عليهم صمت طويل قطعه الأب لورنزو بعد ان رفع نظره عن الأوراق وقد علت وجهه سيماء الحزن. قال:

ـ اجل. هذا هو المكان المؤشر اليه هنا، ولكني أخشى يا اصدقائي ان تكونوا أتيتم بعد فوات الأوان. لقد مات منذ سنتين الرجل الوحيد الذي أعلم بمقدرته على مساعدتكم. لعلكم لاحظتم لدى وصولكم خرائب بيت على ضفة النهر الثانية. كانت تلك أول ارسالية هنا شيّدها رحالة اسكتلندي أتى من مانوس منذ سنوات عديدة. التقيت به مرتين الأولى في شبابي عندما كنت في الكلية والثانية بعد سنوات عديدة عندما

كنت استعد للمجيء الى هنا لأحلّ محله لأن المرض اضطره للتخلي عن عمله. لقد ساعدني كثيراً وزودني بنصائحه القيمة. كما أخبرني حينذاك عن الوادي حيث يسكن الشعب الذي تقصدونه.

- سأله ماكس بلطف:

- هل حدثك عن الاسطورة؟

- اكسير الحياة وتلك الزهرة؟ ليست يا أصدقائي عند حسن ظنكم. الشعب السري سهل الانقياد كباقي البشر وعددهم يتناقص باستمرار. دوغال كان يعتقد بأنهم آخر من بقي على قيد الحياة من سلالة ما قبل حقبة الانكا لأن واديهم محاط من كل جانب بالتلال التي تصد عنهم الغزاة ويقع في وسط رقعة واسعة ومجهولة من الأرض، لم يصلها الا القليل من الرجال البيض منذ زمن طويل، ما عدا اثنين كانا من رجال العصابات الهاربين من ثورة اشعلوا نارها في الاكوادور ودخلوا من الممر الكائن بين التلال الى الوادي السري صدفة. جرح أحدهم وأصيب الآخر بالحمى فجاء بهما الشعب السري الى الارسالية حيث أسعفهم دوغال بالعلاج المتيسر لديه. لكن المجروح توفي اليوم ذاته، اما الثاني فقد تحدث كثيراً عن الوادي والأشياء الغريبة التي شاهدها وهيكل الشمس والطقوس والاكسير الذي شرب منه وكذلك عما سماه بالالمانية «البرعم» وطبيعي ان يصف دوغال اقوال الرجل بالهذيان لشدة الحمى التي جعلته يستغرق في نوم

عميق فانخفضت حرارته وبدا ضعيفاً وهادئاً لكنه لم يفه بكلمة أخرى عن الموضوع. وبعد ذلك غادر المكان بسرعة قائلا بأنه سيعود مع أشخاص آخرين ولم يعد. ومع الوقت نسي دوغال كل شيء الى ان تكلمنا عن فاغواياس فتذكر الموضوع.

سألته فيونا:

ـ هل ذهب الى الوادي بالفعل؟

ـ عدة مرات. سألته السؤال ذاته فقال انه وجد وادياً اخضر هانئاً وشعباً مختلفاً جداً عن قبائل الأدغال الذين كان يعمل معهم شعب بسيط لا يرغب الا في استمرار عزلته ولقد استجاب الى رغبتهم يا ابنتي.

لاذ الجميع بالصمت وراح كل منهم خلاله يفكر بالموضوع من زاويته. لقد ثبت لديهم رغماً عن وجود عدة حلقات مفقودة حيرتهم ورغم هدوء مظهرهم، انهم على وشك بلوغ غايتهم. كان هارمون منحنياً يستمع بلهفة فضحها بريق عينيه وهمّ بالادلاء بشيء عندما سبقه ماكس بقوله:

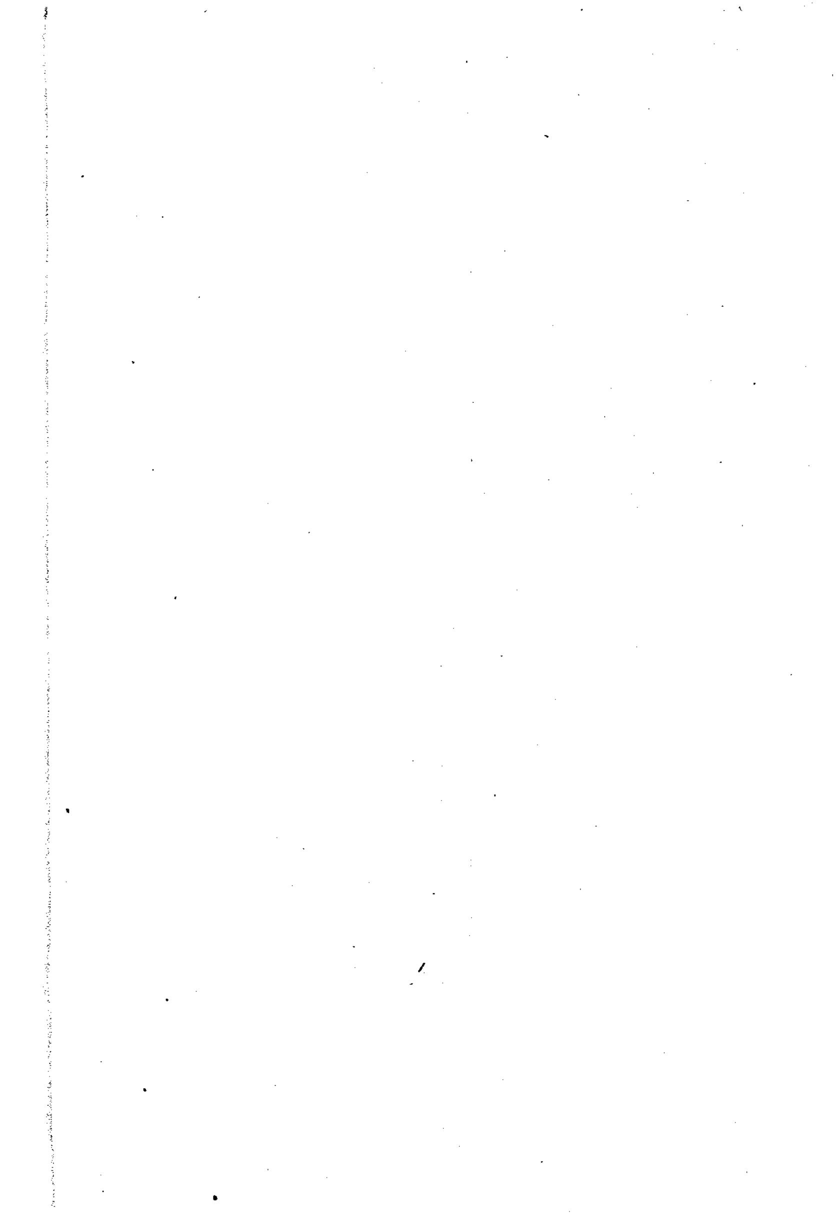
ـ الممر موجود.

نظرت فيونا الى الكاهن الذي علت وجهه مسحة الاشفاق على أمل يوشك ان يتحطم.

قال الأب ببطء:

ـ لم يعد موجوداً. بعد وقت قصير من الأحداث التي

أخبرتكم عنها اجتاحت المنطقة عاصفة هوجاء وطوفان مدمّر فزلزلت الأرض والتلال وانغلق الممر الى الوادي كلياً.



٤ - ارادة لا تقهر

ادهش ماكس جميع افراد البعثة لأنه كان البادىء بالافصاح عن فقدان الأمل، فنهض واقترب من النافذة يحدق بكآبة. انحنى الأب يدقق في رسم الخارطة ثانية فيما ابتعد روجر وفيونا منفردين. قال روجر:

ـ أتدرين بأنني اصبحت اكثر اقتناعاً بأننا اخطأنا طريقنا. لقد اعدت النظر في الخارطة وتأكدت بأننا درنا دورة طويلة.

ـ ماذا تعني؟ لا يوجد طريق آخر. بحثنا ذلك منذ شهور عديدة واتفقنا على اختيار هذه الطريق لأنه الأفضل وليس بالامكان اجتياز الأمازون والسير جنوباً.

ـ اعتقد انه يمكن. كان علينا التوجه الى كوتيوس او الى

طريق آخر قبل الذهاب الى ماراتون ومنها الى لامارجينال ثم مارباتو، ثم نسير بالاتجاه الشمالي الغربي وهكذا نصل من الجهة الثانية حيث لا بد من وجود طريق. . . وفجأة جاءهم صوت ماكس من الخلف:

ـ نظرياً نعم ولكن فعلياً لا. ليست مارباتو اقرب نقطة للالتقاء من الجهة الشمالية الغربية، نورتوماقان هي الأقرب. وليس فيها مدرج لهبوط الطائرات. في الواقع ليس فيها أي شيء حتى الطريق الدولية التي تربطها بلامارجينال لم يباشر بفتحها ويتحتم علينا السير ثلاثة اسابيع عوضاً عن ثلاثة ايام والمرور فوق ممر ضيق يقارب عمقه الالفي قدم.

استدار ماكس ذاهباً فتنفس روجر الصعداء وقال:

ـ انه متغطرس همه الوحيد ان يكون مشرفاً فقط.

ـ لا تكن سخيفاً يا روجر. انه يقيم هنا ونحن غرباء هنا. كلنا يعلم قبل ابتداء الرحلة بأن اعتمادنا عليه، واعتقد ان الحظ خدمنا بانضمامه الينا.

ـ لا اعني من هذه الناحية انما قصدت كيف ارسلنا جميعاً وبقي وحده بجانبك.

ـ كان يجب ان يبقى احد معي وهذه هي الطريق الوحيدة المعقولة.

ـ حسناً لكنها لم تعجبني وقد اعلنت ذلك في حينه.

تنهدت فيونا لأنها ادركت بقلق ان جدالاً لا علم لها به قد

حدث بينهما. قالت:

ـ انا متأكدة ان الأمر غير ذلك. لقد فعل ما هو لصالح الجميع حسب رأيه وليس من اجلي وحدي. ثم انه ايضاً طبيب.

وابتسمت ابتسامة مشجعة وغاب عن ذهنها انها اخذت موقف الدفاع عن ماكس ثم تابعت:

ـ لا تشغل بالك يا روجر علينا الاهتمام بأمور اكثر اهمية من هذه بكثير.

ـ نعم.

تبدلت ملامح وجهه اذا خطر له كما خطر لفيونا هذا السؤال: هل اجتازوا هذه المسافة لينتهوا بسرعة الى الاخفاق في بهمتهم؟ فجأة ادركت ان الأصوات المرتفعة صمتت وان كليف كان يقول شيئاً عن الطريق الأخرى. وان الأب لورنزو يتكلم فابتعدت عن روجر لئلا يفوتها شيء من الحديث وعادت الى الحلقة. اومأ لها عمها بيده وتوقف الأب عن الكلام مبتسماً لتدخلها الفجائي ثم عاد وقال:

ـ اعلم فقط ان خوض ماء النهر من داخله الى الوادي امر معروف ولكني لا استطيع بالنظر لافتقاري الى الخبرة الشخصية، وكما لا تعلمون نشأت حول النهر الخرافات الهندية الكثيرة... الهنود يتجنبونه ولا يقتربون منه بعد الظلام، يسمى نهر الروح ويجري في الكهف تحت التلة وبامكانكم

رؤيته من الجهة الشمالية.

قال ماكس عابساً:

- لا تستطيع رؤيته بسبب الظلام، هل نستطيع استئجار قوارب؟.

- ممكن ولكن لن تجد دليلاً. هل انت مقتنع بصواب المغامرة وانت لا تدري الى اين تنتهي بك.

اجاب ماكس:

- لم نأت من بعيد لكي نيأس بهذه السهولة. هل تتوسط بالنيابة عنا. انا اريد استكشاف نهر الأرواح هذا.

استأثرت فكرة الممر الجوفي المسحور بخيال الجميع. فدار الحديث بحماس حوله اثناء تناول طعام العشاء وبعده الى ان انتبه ماكس لضرورة مراعاة شعور مضيفهم، ونظراً لتقدم الوقت، اوقف المناقشة فقام كليف باصطحاب رفاقه في المستوصف الى حيث يقيمون.

خفتت اصواتهم وذهب البروفسور دانن الى غرفته لكن فيونا استمرت في مكانها واضعة يدها على قضيب الحديد والأفكار تتزاحم في رأسها بشكل لا تستطيع معه النوم بسرعة رغم انها تعلم وجوب الاخذ بنصيحة ماكس كما فعل الآخرون.

- فيونا.

التفتت فرأت خيال روجر قادماً نحوها. قالت:

- ظننت بأنك اويت الى الفراش.

ـ غيرت رأيي وفكرت بأني سأجدك هنا. لم يعد بامكاني الانفراد بك في هذه الأيام.

ـ طبيعي، التعليمات تقول بعدم التجول وحدي وانا انفذها حرفياً وهكذا يجب ان تفعل انت.

ـ هل انت متأكدة من ان هذا هو كل شيء؟ اشعر بأنك تتجنبيني في هذه الأيام.

ـ هذا هراء طبعاً لم افعل ذلك ولا اتحاشى الا الغرباء.

ـ ازعجني ما جرى سابقاً بينك وبين كريستبرن. اخرجنا جميعاً خارج الخيمة ما عدا العم فيل وارسلنا لنحمل اليه الماء ثم امرنا بمتابعة السير بدونك. لا استطيع أن اتصور كيف بقي معك طوال الليل. هذا العمل ليس شريفاً.

ـ مهلاً! ماذا تعني او تظن؟ كان يجب القيام بذلك والا لما كنت تراني هنا. وفي مطلق الأحوال هل يكون هذا العمل لائقاً لو قمت به انت او كليف او جوناثان!

ـ كلا يا فيونا لم اقصد ذلك انما عنيت سلوكه المتعالي المتكبر.

ـ لا اريد التحدث عن هذا الأمر او عن ماكس/والآن يجب ان تذهب لتنام. تصبح على خير.

ـ ارجوك يا فيونا ليس هكذا كنت اريد فقط...

ـ لكني لا اريد. لقد نسيت وعدك يا روجر، كنت اعني ما قلته لك سابقاً. لا اريد الجزم بأي شيء ولا مجرد التفكير فيه قبل العودة. والآن دعني وشأني ارجوك.

ـ حسناً اذا كان هذا مرادك.
ـ انه كذلك فعلاً.
وبقيت واقفة حتى سمعت وقع قدميه في آخر البناء وصوت اغلاق الباب خلفه، فايقنت انها وحدها من جديد. وصلت الى السياج القائم على ضفة النهر. تنهدت واستدارت لتعود. وهنا رأت شبحاً اسود واقفاً اكتشفت مكانه من نار سيكارته. ظنت في البداية ان روجر لحق بها فتراجعت لا شعورياً بقصد الهرب بدون ان يراها، لكنها سمعت صوتاً عرفت صاحبه حالاً يقول لها:
ـ ابقي مكانك لان حافة النهر هنا موحلة.
كان ماكس هو المتكلم. بقيت جامدة في مكانها فاقترب منها بخطى ثابتة واللفافة لا تزال بين اصابعه. وفجأة انعقد لسانها عندما رأته. قال:
ـ هل افقدك سحر الارواح النطق؟
ـ كلا... كنت افكر بالطلب اليهم كي يدلونا على عبور مخبئهم غداً.
لم يجب بشيء فسألته:
ـ انك ستحاول المرور ولن تعود ادراجك. اليس كذلك؟
ـ كلا لن ارجع على اعقابي.
تنهدت وقالت متابعة مزاجها الرومانطيقي:
ـ اتدري، بدا على الاب لورنزو كأنه يؤمن بوجود الخرافات

الهندية التي اخبرنا عنها.

- اظن ذلك. واراد عدم تشجيعنا على مغامرة خطرة لا حاجة لها بنظره.

- قد لا تكون خطرة. اقصد كيف يؤكدون ذلك ما دام الهنود يتجنبون النهر والوادي؟ ربما ارتكزت على قصة قديمة ضاعت بين الأساطير. وما رأيك بخرافاتنا نحن؟

- اشك في ان ينطبق هذا على ذاك!

- ربما، ولكنني واثقة من امر واحد. هذا النهر يقودنا الى الوادي، سنتأكد من ذلك في مثل هذا الوقت غداً.

- يبدو انك مقتنعة تماماً.

- اجل.

- تستحقين الشفقة لأن الجواب على سؤالك سيأخذه سواك قبلك.

- قبلي؟ ماذا تعني؟.

- يؤسفني يا فيونا ان ابلغك ما سيجعلك تحقدين علي. ستظلين في الارسالية اثناء هذه الرحلة!

صاحت متعجبة:

- انا اتخلف عنكم ولماذا؟ لا يمكن ان تكون جاداً ولا تستطيع فعل ذلك.

- بل استطيع. سيكون خوض النهر المسحور مهمة صعبة جداً اذا صحت توقعاتي وخصوصاً على فتاة مثلك.

ـ اذا كان هذا كل ما يشغل بالك فانا لست قلقة ابداً.

ـ ربما لست قلقة، اما انا فعلى عكس ذلك. سأقوم بالتجربة بمفردي لأني لا ارى ما يوجب تعريض الفرقة لمخاطر محتملة.

احست فيونا بأنها افاقت من حلم مخيف. لم يكن جاداً بالتأكيد. قالت برقة:

ـ نسيت شيئاً.

ـ ماذا؟.

ـ يجب على من ينص القوانين ان يتقيد بها اولاً لكي يضرب المثل الصالح للآخرين.

ـ ماذا تقصدين بالضبط؟

ـ نظام المرافقة! لا يمكن ان تذهب بمفردك يا ماكس.

ـ هل تتطوعين؟.

ـ اجل اذا كنت بحاجة لمتطوع.

ساد الصمت بينهما برهة عاد بعدها ماكس يقول:

ـ اتحاولين اغرائي بالتراجع؟

ـ بالطبع لا. بدأت ارى وجهة نظرك بوضوح فساورني الخوف والشعور بالذنب. لو كنت مكانك لشعرت بما تشعر به انت فوجود امرأة مع الفريق يشكل عبئاً ثقيلاً ويسبب ازعاجاً كلما ازدادت الصعوبات. لو لم اكن معكم لما توقفتم البارحة عن متابعة السير بشكل عادي. اليس هذا صحيحاً؟

ـ الى حد ما.

ـ كان ظني في محله. اني اتفهم الأمور جيداً ولكن الا تستطيع يا ماكس الرجوع عن قرارك؟

ـ كلا، لا استطيع فما لنا وللجدل والحيل النسائية...

ـ هذه التهمة الباطلة اشد اجحافاً بحقي مما سمعته في حياتي كلها. كأنك لا تعلم ان النساء العصريات يستطعن بدون تذمر احتمال المشقات والمتاعب كالرجال، وانا لن انهار.

ـ لكنك فعلت ذلك البارحة.

ـ قد يحدث هذا لأي منا، فضربة الشمس لا تفرق بين الرجل والمرأة.

ـ لكنها فرقت.

عضت على شفتها من لهجته الحاسمة وسكتت تفكر في وسائل جديدة لمقاومته، قال لها:

ـ لماذا لا تتوقفين عن محاولاتك. اننا لا ننظر اليك الا كما خلقك الله.

ازدحمت الأفكار في رأسها عندما استلقت في فراشها وكان ابرزها ما جاء على لسان ماكس. اذن لماذا لا تفعل كما قال وماذا يضيرها ذلك؟

انتشر خبر الحظر على فيونا بين اعضاء الفريق قبل الافطار. كلهم كان ينظر اليها برأفة واشفاق وقد اجمعوا على تجنب الموضوع، ولكن كليف لاحظ ان وجه فيونا لم يكن متجهماً كما هو متوقع في هذه الحالة. لزم روجر الصمت وحده مقطب

الجبين من جراء حادث البارحة فيما دار الجدل بين الآخرين حول سلامة وعدالة قرار ماكس. كانت تصغي اليهم وافكارها مشتتة وترمق عمها الذي حافظ على حياده بنظرة من وقت لآخر. وتساءلت في سرها عما اذا كان هو الذي اخبرهم بموقف ماكس التعسفي.

قالت بطلاوة:

- لست منزعجة لانني سأعوض عن الاتعاب برفقتكم جميعاً، فسيذهب قائدنا بمفرده.

- سيذهب قائدنا بمفرده!

- انت تمزحين!

والتفتوا الى البروفسور دانن الذي نظر اليها بغضب وهي مرتاحة في مقعدها وثارت ثائرتهم.

صرخ كليف:

- بحق السماء هل يظن بأننا قبضة من طلاب السنة الأولى.

اشار البروفسور دانن بيده محاولاً شرح الموقف فسمعت ماكس يهمس في اذنها:

- لقد اثرت على وكر الدبابير اليس كذلك؟ كان من الأفضل الانتظار حتى اعطيهم التفاصيل الحقيقية. آمل ان تكوني قد اكتفيت بهذا القدر من الانتقام.

رفعت نظرها الى وجه ماكس المتجهم تتحدى نظراته وقالت بهدوء:

ـ اجل!

ثم غادرت الغرفة بدون ان تعطيه فرصة للجواب مدركة بانها سلكت مسلكاً ربما ندمت عليه رغم ان له ما يبرره. لن يوافق الآخرون على ذهابه بمفرده. لكن عمها يكن الود لماكس وسيتوصلان الى خطة مقبولة من الطرفين، وهي تخشى ان يتم ذلك على حسابها فاسرعت تبتعد عن الارسالية. سكنت الحركة في الارسالية بعد ساعة من الزمن وسار ماكس والبروفسور وروجر في الطريق الذي اكتشفته فيونا. كانت القوارب جاهزة قرب المبنى حيث التف عدد من الهنود حول الأب لورنزو وقد ملأ الخوف من الخرافات قلوبهم. اصبح بالامكان في وضح النهار رؤ ية ما بعد ملتقى النهرين حيث يدخل مجرى الماء في كهف مظلم تحت الهضبة. نظر ماكس الى ساعته وقال:

ـ هيا بنا.

ثم نظر الى البروفسور دانن وتابع: لتركب القارب الأول ويتبعنا كليف وروجر وبعدهما هارمون وجوناثان في القارب الثالث.

اومأ البروفسور دانن بالموافقة ثم تلفت حوله قائلاً:

ـ اين فيونا؟

اجاب ماكس:

ـ اظن انك تعلم ببقائها هنا، فالاخطار كثيرة هناك.

ـ موافق تماماً، سرني انك تمكنت اخيراً من اقناعها بعدما فشلت انا.

كان هناك قارب يتهادى على الماء بقيادة عجوز هندي وفي قاعه جلست فيونا يرفرف منديلها الأحمر في الهواء وعيناها تبرقان ببريق الانتصار والتحدي:

ـ لا يجوز ان تفعل ما فعلت، انه ملكي وقد اشتريته بمالي.

استقام ماكس ورمى القارب بنظرة فاحصة وقال:

ـ انت اشتريت هذا؟

ـ اجل انا احد اعضاء الفريق ولا انوي البقاء هنا حتى تسمح لي بالذهاب.

ـ يا الهي الى اين يستطيع هذا العناد ان يحملك؟

ثم التفت الى روجر الذي جلب حزمة فيونا من الارسالية طائعاً واشار له:

ـ اعدها مكانها وانقل صندوق الأدوية كذلك.

والتفت الى البروفسور دانن وقال له:

ـ ارجو ان تنضم الى كليف وروجر في القارب الثاني.

ثم توجه الى فيونا قائلاً بقسوة:

ـ حسناً لقد ربحت. أضعنا الوقت الثمين في الهواء. تحققت الآن بعد تفكير طويل بأن مشكلتك اخف وانت تحت مراقبتي مما لو بقيت تبتكرين المزيد من التحدي السخيف.

خرجت من قاربها فأفلته ماكس وانزلق على وجه الماء فذهبت

الى مقدمة الزورق وكان كليف وجوناثان قد توقفا عن الضحك، وبقرار مختصر وحاسم برهن انها كما وصفها: صبيانية ومشاكسة. ركب ماكس الزورق بدون ان يتفوه بكلمة. فامسكت بالمجذاف وحاولت ان ينسجم تجذيفها مع ضرباته فتحرك القارب وانساب على وجه الماء. ناداها:

ـ تخلصي من ذلك المجذاف فلسنا بحاجة اليه.

رمقته بنظرة حادة وامتثلت. انه لا يثق بقدرتها حتى على تجذيف قارب صغير الا اذا تدخل.

اخذ مجرى النهر يضيق لدى الاقتراب من مدخل الكهف فتذكرت تعليمات ماكس الأخيرة ثم تلفتت الى الوراء فحياها جوناثان وكليف تحية صاخبة دلالة على نجاحها واشارا اليها كي تخفض رأسها.

كان ماكس قد ثبت مصابيح البطارية على مقدمة القارب فانحنى يضيئها لدى الوصول الى مدخل الكهف واحنت فيونا رأسها كذلك عندما دخل القارب تحت القنطرة الصخرية فاختفى النور كأنه شمعة انطفأت وساد الظلام والبرودة. ركزت فيونا نظرها الى الأمام كي ترى جيداً، وعزمت على ضبط اعصابها والاحتفاظ بصفاء ذهنها. فالخيال والمخاوف الفطرية قد تتمكن من القضاء على هدوئها.

ـ احني رأسك.

فأحنت رأسها في الوقت المناسب لأن سقف الصخرة كان

يشكل خطراً عند المرور تحته. تسمرت عيناها على الماء الذي اخذت سرعته تزداد فلم يعد من لزوم للتجذيف. سارت القوارب الثلاثة قدماً تتوغل في اعماق المجهول. سألها ماكس:

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ نعم.

ثم عادت الى صمتها. لم يظهر الى الآن على ان النهر الجوفي سيتسع. احست مرة كأن السقف يلامس شعرها وكذلك صدر عن احدهم في القارب الخلفي صوت يدل على ان رأسه اصيب، فانخفضت قليلاً في جوف القارب. وفجأة احست ان اعصابها تخونها وانها بحاجة للافصاح عن مخاوفها. لنفترض ان النهر لا ينتهي الى الوادي السري او انه يملأ الفجوة بالماء ويغرق كل شيء.

صرخ ماكس فجأة يحذرهم فشددت فيونا قبضتها على حافتي القارب لأنه تمايل واهتز بسبب نتوء في قاع النهر وارتطمت مقدمته بالماء فاحست فيونا بأنها تتأرجح من جهة لاخرى بعنف، فاغمضت عينيها بانتظار الخروج من هذا المأزق الذي اسفر عن رشاش ماء قوي بللها حتى العظم واذا بالقارب ينحرف بأعجوبة رويداً رويداً. رفعت رأسها فرأت ماكس يجذّف باتجاه الطرف الآخر بعيداً عن مدخله. قال ماكس:

ـ يجب ان يصلوا الآن.

وكان صوته حزيناً. اما فيونا فقد شعرت بفراغ رهيب

يكتنفها عقلياً وجسدياً. نسيت حنقها على ماكس ولم تتذكر سوى انه لا يزال حياً وقوياً وانسانياً. فقالت:

- لا بد ان يكون هذا هو كهف الظلال.

استدار ماكس وقد ظنته يبتسم عندما قال:

- لا شيء هنا فوق الطبيعة شرط ان يسير المرء في الطريق الصحيح. ها هم قد وصلوا. وصل عمها وكليف وروجر في القارب الثاني. تراءى لفيونا ان القارب سينقلب لكن كليف عدل مكانه بمهارة وهتف:

- كيف حالكم. هل انتم بخير؟

اقترب كليف بقاربه حتى اصبح بمحاذاة ماكس واخذوا يتفحصون لون الماء الحبري. صرخ احدهم معلناً ظهور القارب الثالث الذي بان في تلك اللحظة كأنه معلق في الفضاء.

قالت فيونا بصوت خافت:

- ما هذا يا ماكس؟

- انه حامض الكبريت وحرارة الماء اولى علاماته. نحن في اتجاه صدع في الأرض.

نظرت اليه وتأوهت متوقعة مشاكل جديدة. لم تكن تعلم اي شيء عن تصدع قشرة الارض ولكن ارتباك ماكس كان كافياً ليجعلها ترتجف من الخوف. فهمست:

- وماذا تفعل اذن؟

ـ ليس لدينا خيار سوى ان نخوضها. لهذا السبب اردت ان تكوني بعيدة في مكان امين.

ـ نعم اني آسفة ولكني هنا الآن.

ـ الا تخافين؟

ـ كلا.

التقت عيونهما فشعرت للمرة الأولى بعذوبة نظرته. قال:

ـ اعتقد انك تعنين ما قلت.

انشرح صدرها وزال خوفها مؤقتاً اذ قد يعود ثانية لوضعه السابق.

سألها ماكس فجأة:

ـ هل جلبت معك شيئاً من ملح الامونيوم؟

ـ اجل، جلبت قليلاً منه تحسباً لتأثير الحر على اي واحد منا.

ـ الم تستعمليه البارحة؟ اعطني شيئاً منه.

ثم تناولت حزمتها وفتحت علبة الاسعافات واعطته قنينة الملح.

زان القنينة بيده وقال بكآبة:

ـ هذا قليل، ولكنه افضل من لا شيء وسأستعملها كلها.

ـ كلها لوحدك.

لم يكن يصغي لها وازدادت حيرتها عندما رأته يخرج كوباً وسكب فيه ماء ثم طلب من كليف ان يأتي بربطة من الشاش من علبة الاسعاف وطلب منها ان تقطعها الى سبع مربعات

صغيرة فيما كان يصب محتويات القنينة في الكوب بعناية ودقة.

كان الآخرون صامتين بين متململ وحائر ومرافق. خصوصاً عندما بلل ماكس قطع الشاش بالملح المذاب بالماء. ناول كل واحد منهم قطعة وقال:

ـ اربطوا هذه فوق انوفكم وافواهكم لتكون كمامة واقية.

نظر الرجال بعضهم الى بعض ثم وضع كل منهم كمامته على وجهه على غرار ما فعل ماكس ولولا جدية الموقف لكان شكلهم غريباً ومضحكاً.

نظرت فيونا الى الاقنعة البيضاء وقد جلس اصحابها في قواربهم التي راحت تتمايل قليلاً قبل عبورها تحت القنطرة الصخرية فلم تصدق ما يحدث، حينئذ رفع ماكس مجذافه معلناً استئناف السير ومضوا بحذر يخترقون الظلام الدامس.

ـ فيونا.

ـ نعم.

ـ اريدك ان تنحني الى الأمام او تزحفي في قعر القارب واذا لم تستطيعي الوصول تمسكي بحزامي من الخلف.

ففعلت ما امرها به وتمكنت من الامساك بالحزام. قال:

ـ عظيم جداً. تمسكي به بقوة ولا تدعيه يفلت منك ابداً.

اطاعت عفوياً. وفجأة احاطت بها غيمة خانقة حارة وكريهة الرائحة. حاولت ان تصمد فالغريزة التي لا ترحم دفعتها

للتفكير بالرجل الذي لا يلين. واستحال عليها التنفس العميق او فتح العينين للتخلص من الدموع الحارة ثم غاب كل شيء في عتمة الظلام.

٥ - عروس الشمس

احست فيونا بحرارة اضطرتها لفتح عينيها ثم اغمضتهما بسرعة وشدة.

ـ لا تخافي ستصبحين على ما يرام قريباً جداً.

استعادت فيونا وعيها ببطء وبدأت الاشياء تظهر طبيعية تدريجياً: سماء زرقاء صافية وجدول هادىء. وجدت نفسها ممددة في قعر القارب ورأسها على ركبة ماكس وهو ينظر اليها بعينيه الزرقاوين. قال بهزء:

ـ اصابنا جميعاً مثلما اصابك.

ـ احس كأني وقعت في بؤرة طين حار.

ـ فعلاً تقريباً. كلنا كذلك.

جلست ثابتة واخذت المنشفة من يده وقالت:
ـ الغبار يغطيك تماماً. اسمح لي.
واخذت تمسحه عن وجهه برفق متجنبة التقاء عينيه بعينيها.
سألته:
ـ الم يغمى عليك؟
ـ ليس تماماً لحظة قصيرة فقط، يا له من حادث مزعج.
ـ كيف حال الآخرين؟
ـ انهم يأتون تباعاً ولكن علي الانتظار حتى يستعيدوا نشاطهم وحيويتهم قبل الاستفسار عن صحتهم.

نظرت فيونا الى النهر فرأت عمها جالساً في القارب يمسح وجهه بمنديله والى جانبه روجر.

شردت ابصار فيونا وقال ماكس:
ـ اريد العودة بعكس التيار اذا كانت لديك القوة الكافية لأنه يوجد هناك جانب من الضفة مسطح قليل العمق نستطيع التوقف عنده.

ما هي الا بضع ضربات قوية بالمجذاف حتى كان الزورق يندفع بعكس التيار نحو المكان الرملي الذي لمحه ماكس سابقاً. ولدى وصوله امسك بيدها واخرجها من القارب وراح يفتش وهي تنظر اليه متعجبة من قدرته وصموده بينما اصطكت ركبتاها وخانها النطق ونشف ريقها.

اتى بحزمتها ورماها بقربها وقال:

- علي ازالة هذه الأوساخ واستبدال ثيابي.
- نعم.
-ابقي تحت النتوء الصخري فهو يحميك وانا عائد لأنظر في امور الآخرين.
- شكراً.

كان الرفاق في هذه الأثناء قد اغتسلوا وانتعشوا فاجتمعوا للبحث في الخطوة التالية. كليف وجوناثان ايدا متابعة السير، لكن حالة عم فيونا لم تكن مرضية. اما ماكس فقد قرر افضلية اقامة ما يشبه المخيم لكي يرتاحوا تماماً. فقاموا لتحضير الطعام.

اتخذ كل منهم مكاناً مريحاً متمددين على الأغطية وراحوا يتسامرون، قال جوناثان واضعاً يده تحت رأسه:
- ربما نكون تائهين فقد يحدث هنا ما ليس بالحسبان.

نفث البروفسور دانن غليونه في الهواء فقال كليف:
- هل لاحظتم هذا الهدوء هنا؟ انه شبيه بسكون الصحراء.

ولكن بقي شيء آخر لم تستطع فيونا ان تتجنبه. شيء غير ملموس ينتظرهم. ربما كان الوادي مسحوراً، كما سحر النهر.

جاء روجر وجلس بقربها يتفحص وجهها ثم قال:
- ماذا دهاك؟ يبدو عليك القلق. اني آسف لما حدث في تلك الليلة لم اقصد ان . . . تعالي نتمشى قليلاً.

فأشارت له بالسكوت وادارت رأسها بحدة.

ـ والآن ماذا دهاك؟

جلست تنظر الى ظل بلون الحبر خلف خيمتها وسألته:

ـ الم تر؟ هناك... لقد تحرك.

ـ لا ارى شيئاً انه ظل يخدع النظر، هيا بنا.

ـ لقد اختفى الآن. كان هناك شيء ما.

ناداها كليف:

ـ ماذا حدث؟

ـ لا ادري.

نظر اليها ماكس وقال:

ـ ماذا رأيت يا فيونا.

ـ صبي صغير على ما اعتقد!

خيم الصمت مرة ثانية بعد بضع تعليقات صدرت عن بقية الرفاق، لكن روجر عاد فقال:

ـ انت تتخيلين الأشياء ولعل ذلك تحت تأثير ما حدث بعد الظهر.

ناداها ماكس مقطباً جبينه:

ـ اخبريني ماذا رأيت او تخيلت.

ـ رأيت صبياً او على الأقل شكلاً صغيراً يرتدي شيئاً رمادياً لم استطع التحقق منه. بقي لحظة ثم اختفى.

ـ الى أين؟

ـ الى هناك. كان ينظر نحونا ثم ذهب.

اخذ كليف يمزح معها باسلوبه الساخر اللطيف.

ـ لكني فعلاً رأيت غلاماً.

ـ حسناً، اين هو الآن؟

قال جوناثان:

ـ ذهب ليجلب والدته.

وتلاه كليف بقوله:

ـ مع بقية العائلة... لا تخافي يا فتاتي نحن نفديك بأرواحنا!.

تفرق الرفاق وهم يتضاحكون وذهبوا للنوم كل واحد الى مكانه. لكن ماكس لم يشاركهم مزاحهم وضحكهم. فلم يكن الصبي خدعة ولا نسج خيال بل حقيقة مثل لجنة الاستقبال التي افاقوا عليها عند الفجر.

وقفت القبيلة بصمت على حافة النهر. ملابسهم الطويلة تشبه العباءة ولا يرتدون قبعات ملونة زاهية كتلك التي رأتها على رؤ وس هنود البيرو. لم تكن ثيابهم متنوعة الألوان مما يدل على انها صنعت من ايديهم وكانوا جميعاً من الرجال البالغين ما عدا صبي صغير في حوالى الثامنة او التاسعة من العمر وقف بلباسه البسيط في وسط الجمع الى جانب رجل مسن طويل القامة يتميز عن الاخرين بالوقار والمهابة. اما لون بشرتهم فقد كان يشبه بشرة اعضاء البعثة بعدما لوحتها الشمس. لم يظهر عليهم بأنهم هنود ما عدا عظام الوجه والحواجب مما يدفع للاعتقاد بأنهم من

اصل لاتيني ينتمون الى احد بلدان شمال اوروبا. سأل كليف:
- من يتطوع للقيام بالترجمة؟ لا تزاحموا بعضكم.
تقدم ماكس واضعاً بذلك حداً لدهشتهم فلحقه الجميع ما عدا كليف الذي حال بين فيونا وبين مجاراتهم وقال:
- ابقي هنا يا عزيزتي حتى نتمكن من اقامة علاقات ودية معهم.
توقف ماكس على بعد خطوات وبدأ الكلام. لم تصدر عن الغرباء اي حركة او تعبير يدل على نواياهم. اما فيونا فقد تقدمت الى الحد الذي يمكنها ان تسمعهم ورأت ماكس يرفع يديه ويحييهم باللغة الكوينشانية. كان رد الفعل كالسابق لأول وهلة، لكن الرجل الذي بدا وكأنه قائدهم رفع يديه مشيراً بوضوح على انه لم يفهم شيئاً فعاد ماكس للكلام بلهجة اخرى لم تحظ منهم الا بالاشارة نفسها. قال روجر:
- جرب الاسبانية.
فعادت الاشارة ذاتها. عندئذ خاطبهم كليف بالعامية وبرطانة انكليزية لم تفهم فيونا منها شيئاً فظنت انها من مخلفات خدمته العسكرية الطويلة. جرب روجر الفرنسية وجوناثان الايطالية وعاد ماكس فجرب البرتغالية المكسرة.
باءت كل هذه المحاولات بالفشل فتبادل الرفاق النظرات اليائسة فاذا بالصبي ينظر الى فيونا ويلمس ذراع القائد الذي انحنى وهمس في اذن الصبي، ثم نظر الى ماكس وتكلم بلهجة

وصوت غريبين.

عندئذ رفع البروفسور صوته عالياً من الدهشة والاستغراب وخاطبهم بالالمانية فظهر تأثير هذه الكلمات فوراً وأوماً قائدهم واخذ يتكلم بينما بدأ افراد البعثة يتساءلون فيما بينهم. قال كليف بصوت خافت:

- غير معقول. هنا يتكلمون الألمانية!

اقترب منهم البروفسور دانن وقد بدا عليه انه يتوقع مفاجأة كبرى. قال بسرعة:

- لا استطيع التوقف وشرح كل شيء الآن سوى اننا وصلنا اخيراً الى هدفنا. ايمكنكم توضيب الحاجيات بسرعة لاننا ذاهبون معهم.

اخذوا ينزلون الخيم بسرعة وحماس بينما لزم وفد الشعب السري مكانه بالقرب من الضفة ما عدا اثنين اتوا بصمت للمساعدة على نقل الحاجيات الى قارب غريب الشكل رسا بالقرب من مكانهم وكان طويلاً يشبه قوارب النقل. رافق البعثة الى القارب القائد والصبي وركب الآخرون في الزوارق الثلاثة وساروا خلف القارب الكبير.

كانت المسيرة الصامتة غريبة جداً فراحت القوارب تتبع تعرجات النهر لا يسمع خلالها الا صوت المجاذيف. هزت فيونا رأسها من فرط الدهشة للمنظر الماثل امام عينيها الحائرتين. اتسع مجرى النهر عندما بدت مدينة الشعب السريّ

زاهية تحت اشعة الشمس الذهبية، والزورق يمر بجانب البيوت ذات السطوح المصنوعة من احجار مسطحة ومربعة وقد ارتفعت على طول حافة النهر متراصة الى فسحة واسعة يربطها بحافة النهر درج عريض توقف القارب عنده. لاحظت فيونا ان هذه النقطة بداية لشارع عريض يقسم المدينة الى شطرين وينتهي الى الهيكل في الطرف الآخر من المدينة.

ذهلت فيونا اذ رأت امرأة بصحبة فتاة صغيرة تخرج من باب يقع على يمينها وتومىء لها كي تتبعها. وعندما ترددت فيونا اسرعت المرأة لتمنعها من الانضمام الى الرجال.

لم يكن هذا التصرف عدائياً بل بدافع المباغتة وقد تملكها الرعب صرخت:

ـ ماكس.

تبادل الجميع النظرات بصمت فتوجه ماكس نحوها. لم ينتظر نتيجة الاخذ والرد بين البروفسور والرجل المسن ثم قال لها بسرعة:

ـ لا تقلقي. يخيل الي انهم يفصلون الرجال عن النساء هنا ولربما ارادوا مرافقتك الى قسم النساء.

توقفت المرأة واشارت الى باب عليه ستار مماثل للستائر الاخرى. دخلت فيونا وهي مستعدة لاي شيء ثم تنفست منشرحة الصدر لانها في مقصورة الحمام.

جلبت المرأة لفيونا ثوباً طويلاً ثم تراجعت الى آخر المقصورة

وجلست حتى الانتهاء من الحمام.

نظرت فيونا الى الثوب الطويل ثم شاهدت الفتاة تجمع الثياب الملقاة جانباً وتضعها في وعاء كبير لم تلاحظه سابقاً وتنفضها بشدة ثم تنقلها لوعاء اخر وتأخذها معها. اصبح لا بد لها من ارتداء الثوب الطويل الناعم فاقتربت المرأة منها حاملة حزاماً بشكل سلسلة من الذهب الخالص. وعندما وصلت الى غرفة اخرى اتضح لها انها غرفتها، استراحت على ديوان منخفض واخذت تتفحص ما حولها. نهضت ودارت حول الغرفة ثم حملت مقعداً ووضعته تحت النافذة ووقفت فوقه تنظر الى الخارج، لكنها فوجئت بوصول المرأة مع فتاتين يحملن اطباقاً فضية كبيرة وضعنها على خوان قرب الديوان فنزلت وتفحصت المأكولات التي جئن بها بينما انسحب هؤلاء مرة اخرى. فتساءلت هل في عدم تناولها كلها اي خرق لحسن الضيافة. تناولت الغداء من كل هذه الاصناف وهي تفكر بما حل بالرفاق. ولما انتهت من تناول الطعام وحملت النساء الاطباق، عاودها عدم الارتياح واخذ السكون يؤثر على اعصابها فقررت ان تفعل شيئاً.

لم تحاول المرأة منعها عندما خرجت من الباب وسارت في الطريق الذي اتت منه بخطى ثابتة متجاهلة من يتبعها حتى وصلت لآخر الممر الطويل. اشارت المرأة بالنفي، فعضت فيونا على شفتها واستدارت يائسة نحو الطريق الذي سلكته آنفاً.

سارت فيونا بمحاذاة النهر تترقب قيام المرأة بعمل ما لكنها فوجئت ببقاء المرأة في مكانها مما يدل على انها حرة هنا. ولكن ما قيمة الحرية اذا كانت لا تتعدى السير من البوابة الكبيرة التي يظهر بأنها من حدود المدينة الى شاطىء النهر. وقفت وتفرست في الهيكل ثم عادت على اعقابها الى غرفتها.

استفاقت بعد حين وهي تشعر بالاضطراب والاختناق فجلست في الظلام ووجدت نفسها مغطاة ببطانية ناعمة وسميكة نشرت فوقها اثناء النوم بضع ساعات سببت لها ذلك الشعور. ثم طرق سمعها صوت ظنته حلماً. انها لم تكن وحدها وهذا صوت بكاء.

سمعت وقع اقدام مسرعة وصرير مفتاح قرب الباب ودخلت المرأة حاملة ضوءاً بدائياً وضعته قرب الديوان ومدت يدها لتأخذ البطانية فرأت فيونا وجهها على ضوء المصباح يفيض حزناً ولوعة.

نسيت فيونا انها لا تستطيع التحدث اليها نظراً لاختلاف اللغة فنهضت من الفراش بدافع العطف وحضنتها بذراعيها وقالت:

- مم تعانين ولماذا تبكين؟ ارجوك ان تخبريني.

بدا على المرأة شيء من التجاوب لأنها نظرت الى فيونا بامعان ثم نهضت وامسكت بيدها مشيرة لها كي تتبعها فرافقتها الى حيث توقفت المرأة قرب درج صغير يؤدي الى قنطرة تجمعت

تحتها بعض النساء. نظرن قليلاً اليها. توقفت فيونا اتقاء للحرارة خلف الستائر وكادت تشهق عندما رأت منظراً غريباً: غرفة واسعة يتألق فيها النور من مشاعل تعلقت على جوانب الجدران واوعية غريبة تحتها يتصاعد منها دخان يمتزج بحرارة الجو، وقد جلست بصمت بعض النساء في حلقات كل منها امرأتان او ثلاث، لكن المشهد في وسط الغرفة هو الذي اثار دهشتها البالغة.

كان هناك ديوان عال غريب الشكل يشبه النعش تغطيه نقوش عجيبة رقدت عليه بلا حراك فتاة نحيلة. احست فيونا بيد تلامس ذراعها فالتفتت فاذا برفيقتها تشير الى الفتاة المريضة وتقول: «ازيوني». كررت فيونا الاسم فاومأت المرأة براسها. شعرت فيونا فجأة بدوار بسيط وبالعرق يتصبب من جبينها لكنها تمالكت نفسها وانحنت فوق السرير مترددة في ان تلمسها خشية خرق التقاليد. وضعت يدها بلطف على وجه الفتاة فأحست بشدة الحمى التي تعانيها. فجأة استعادت فيونا سرعة خاطرها وبديهيتها وادركت ان المرء لا يستطيع ان يتنفس في هذا الجو المشحون برائحة البخور ودخان المشاعل، فنزلت حالاً تبحث عن النوافذ خلف الستائر الكثيفة طلباً للهواء النقي الذي تفتقر اليه المريضة بشدة. كما يجب اخلاء الغرفة من جميع النساء. انها بحاجة ماسة لطبيب اكثر من اي شيء اخر. حاولت فيونا ان تشرح لهن بحركات يدوية لكنها توقفت يائسة لانهن لم يفهمن

قصدها. ليتها تعثر على ماكس. توقفت النساء عن الثرثرة وعدن يمسحن جبين الفتاة بالماء كالسابق ويحاولن ان يسقينها السائل الذي ترفضه.

استدارت فيونا خارجة بسرعة الى غرفتها وحملت المصباح ومضت للتفتيش عن الرفاق. سارت معتمدة على السليقة بمحاذاة الحائط الخارجي العالي كأنها شبح في ثوب ابيض ولما كادت ان تعود يائسة سمعت اصواتاً كثيرة فدارت مرتين وجمدت في مكانها لا تصدق اذنيها. صرخت عالياً:

ـ العم فيل اهذا انت يا عم فيل... ماكس اين انتم؟

ـ فيونا.

سمعت الصوت من وراء الجدار وخيم السكون ثم سمعت وقع اقدام مسرعة ثم ماكس يناديها ثانية:

ـ ابقي مكانك نحن قادمون.

كانت لا تزال تركض باحثة عن مدخل في الصخر الأصم رغم عدم وجود ما يدل على ذلك.

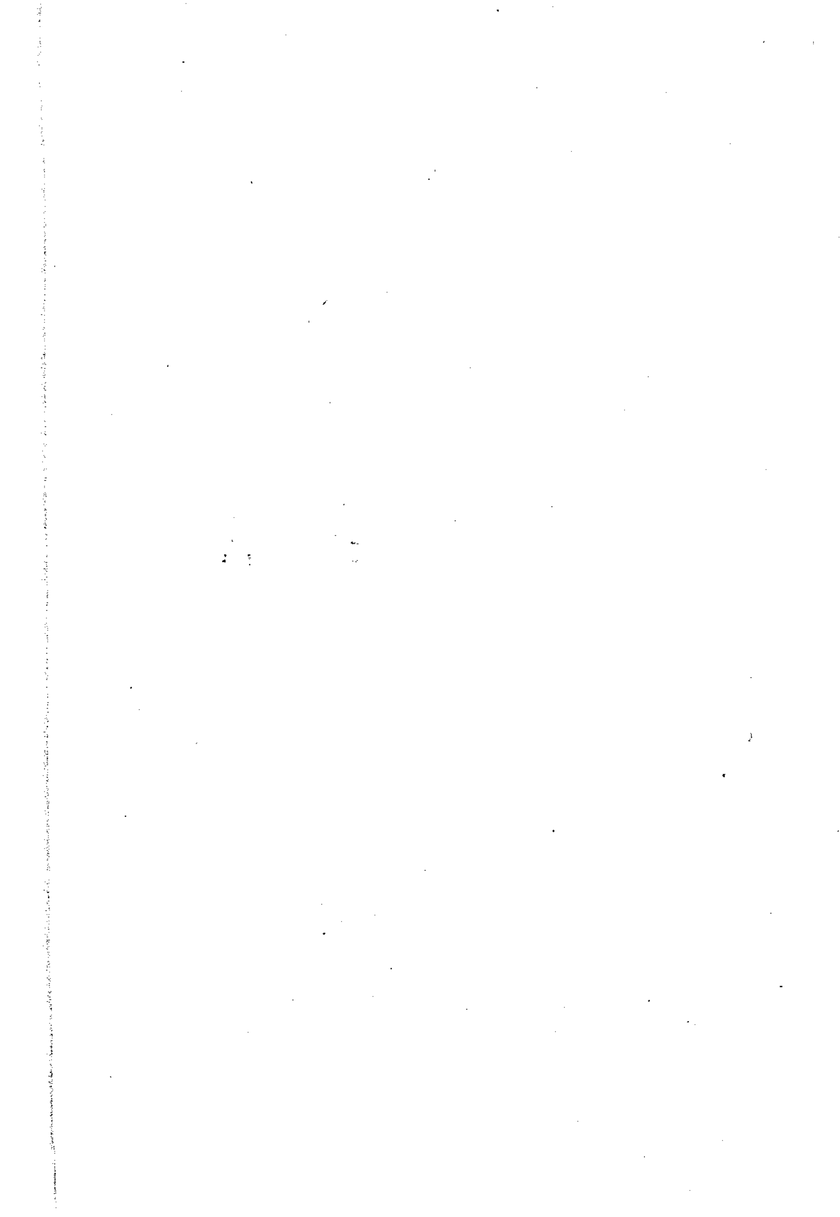
ـ فيونا، قفي مكانك.

جاءها الصوت من خلف الحائط فتسمرت مكانها ثم رأت رأساً يطل فاذا بماكس يتدلى من فوق الحائط ويقفز الى الارض والتفت نحوها ينفض الغبار عن يديه.

ركضت نحوه مسرعة قائلة:

ـ اواه يا ماكس كدت اشك بانني...

ـ اهدأي . . . لقد تغيرتَ هل اهتموا بك.
ـ اجل يؤسفني ذلك لقد وقعنا في دوامة. هناك امور كثيرة تستدعي الشرح.
ـ يجب ان تأتي معي يا ماكس الآن، هناك فتاة مريضة وهي . . .
ـ هوني عليك او اسردي الي القصة من اولها.
ـ يجب ان نفعل شيئاً حالاً، انها مريضة مرضاً شديداً وهي مستلقية في غرفة ممتلئة بالضباب والروائح وحرارتها عالية جداً واسمها ازيوني.
ـ لقد علمنا بحالة ازيوني ولكننا بالرغم منا لا نستطيع القيام بشيء . . . اجل لا نستطيع.
فسألته فيونا باستغراب:
ـ ولم لا؟ انت تستطيع بل انت الوحيد الذي يستطيع، ماكس هل يمكنك ان تحجم عن مساعدتها؟ اكرر بانها مريضة جداً واذا لم تفعل شيء قد تموت.
ـ لا استطيع يا فيونا. اتطنين باني لا اريد او اتردد. اعلمي ان ازيوني هي المختارة لتكون عروس الشمس. لذلك يحرم على اي رجل حتى الطبيب النظر اليها او لمسها قبل اتمام حفل الزواج. الله يعلم انني احب مساعدة الناس، لكن ازيوني محرمة ولذلك لا استطيع انقاذها.



٦ - رمز الشمس

ظهرت بوادر التحسن على ازيوني بعدما تمكن ماكس بمساعدة فيونا من معالجتها وانخفضت حرارتها قليلاً. ظلت فيونا بجانبها حتى اخر الليل ثم حلت اومايا محلها ليتسنى لها اخذ قسط من النوم. لم تكن تعلم شيئاً عن صلاحيات اومايا بالضبط رغم ان لها اهمية معينة على ما يبدو.

علمت فيونا من ماكس عندما التقت به لفترة وجيزة في المساء ان اومايا هي والدة ازيوني التي ستكون عروس الشمس. قالت فيونا:

ـ متى ستفحص ازيوني ثانية؟

ـ لن افعل الا عند الحاجة القصوى واذا لم ينفعها الدواء.

انت تعلمين ان اومايا جازفت بنفسها واخفت امرنا عن الجميع.

ـ نعم ولكن لم يأت احد لزيارة أزيوني طول اليوم. وعليه فاني اقترح ان . . .

ـ لا اريد تعريض سلامة اومايا للخطر. كل شيء طبيعي حتى الآن ولكننا لا نعلم ماذا يفعل هؤلاء القوم بالذين يعبثون بقوانينهم دونما تمييز بين الغريب والقريب.

لم تجتمع فيونا بالآخرين الا نادراً ولم تطلع على نشاطاتهم في هذه الأثناء. لقد نشأت بينها وبين ازيوني علاقة مشتركة فيما كانت صحتها تتحسن باضطراد مما جعلها تشعر بارتياح لانها اشتركت في دفع الأمور بهذا الاتجاه. انخفضت حرارة ازيوني جداً في اليوم الثالث واصبحت مهتمة بالقادم الجديد الذي دخل بطريقة ما في مجرى حياتها. كانت الشمس تدخل غرفة ازيوني طول النهار وحل الهواء الطلق محل البخور، كما اعجبتها شبكة البرغش التي ارسلها لها ماكس للوقاية اثناء الليل. فكانت فيونا تنشرها لها فوق السرير بعناية بعد غياب الشمس ولكن فيونا لم تستطع تجاهل نظرات ازيوني المتعطشة لقدوم شخص اخر. كانت تحدق بالباب كلما دخلت او خرجت فيونا او اومايا ثم تغمض اجفانها بحسرة تستدعي الدهشة.

كانت فيونا تبلغ ماكس يومياً في المساء عن حالة المريضة وكانت تتطلع الى تلك الفترات بمزيج من الخوف والرجاء.

والآن وقد قطعت ازيوني مرحلة الخطر بسلام، اشتقات فيونا لدعابة كليف لانها تنعش فؤادها بعد التغيير الذي طرأ عليها. شعرت عندما علق على كلامها بقوله: «لا يكمل الطبيب الا ممرضة مخلصة». وجاء احمرار وجنتيها يفضح سرها الدفين.

لحسن الحظ ذهب الرفاق في ذلك اليوم في جولة استطلاعية وابتعدوا عن المدينة عدة اميال في قواربهم، فوجدوا ان النهر يجري الى منحدر عميق فتأكدوا من استحالة العبور في هذا الاتجاه. كان البروفسور يراقب بسرور بالغ اكياس النايلون المحتوية على جميع عينات النباتات التي صادفها. اما فيونا فكانت تنظر الى زهرة لا تستدعي الانتباه ذات اوراق صغيرة تشبه اوراق البرسيم. قالت متسائلة:

ـ هذه هي الزهرة؟

ـ اجاب كليف:

ـ اجل هذه هي الزهرة التي قطعنا من اجلها مسافة ستة الاف ميل ثم قطف فرعاً منها ووضعه خلف اذنها وعاد يقول:

ـ خذي وتزيني بأغلى زينة في حياتك.

فوجئت فيونا في اليوم التالي بمفاجأتين: الأولى بشكل صدمة دون سابق انذار.

كانت قد تناولت طعام الغداء مع ازيوني وفكرت بأن الوقت قد حان لكي تخرج هذه الأخيرة الى الهواء الطلق لبرهة وجيزة، عندما دخلت اومايا بسرعة وفي غاية الاضطراب مما جعل

ازيوني تضطرب ايضاً. ومع ان فيونا تعلمت بضع كلمات من لغة القوم لكنها لم تفهم من مجمل الحديث. الا ان هناك من هو في طريقه اليهم فاندفعت اومايا تلبس الفتاة ثيابها بسرعة، وبعد برهة وجيزة دخلت النساء مسرعات واكتظت الغرفة بهن ثم جلسن في الأماكن المحددة لهن في الغرفة. خيم الصمت على الجميع فودت فيونا لو تعرف ما هي الخطوة التالية للخروج من الحيرة.

صدر من الغرفة المجاورة وقع اقدام، فقامت اثنتين من النساء بازاحة الستار بينما خرت الاخريات راكعات وقد احنين رؤوسهن واذا برجل مهيب طويل القامة يدخل بخطى وئيدة.

كان يرتدي ثوباً ابيض طويلاً وكان رأسه حليقاً تماماً ويحمل فوق ثوبه قلادة نقش عليها شعارات وصور واوراق. توقف عند الباب ونظر الى ازيوني اولاً وبعدها الى فيونا المأخذوة بالدهشة دون اي تغيير بملامح وجهه الوقور. وعاد يتفحص ازيوني بنظراته واخيراً تقدم فادركت فيونا بعدما افاقت من ذهولها انه الزعيم.

وقف بمواجهة ازيوني فنهضت الفتاة ببطء وهبطت من منصتها. ثم تقدمت فيونا ببطء الى الأمام كأنها تحت تأثير التنويم المغناطيسي من النظرات التي تركزت كلها عليها ثم ضمت يديها لبعضهما تحية للزعيم. وركعت فيونا مثلما ركعت ازيوني قبلها فعبقت رائحة البخور في انفها واحست بحرارة

المجامر تتسرب اليها. وسمعت اصواتاً عالية وتحركات حولها ثم شعرت بشيء حار يضغط على جبهتها وتبعه شيء ناعم يبعث رائحة طيبة، ثم بيد تربت على كتفها وبلمسة اعتبرتها اشارة بالنهوض.

نظرت الى ازيوني اولاً وبعدها الى اومايا واخيراً الى الرجل الوقور فرأت في يده شيئاً يتلألأ ثم رأته يلتفت الى ازيوني ويعطيها طرف شيء تبين انه طرف سلسلة ذهبية يمسك هو بالطرف الآخر ووضعاها حول عنقها واحكما ربطها من وراء العنق فاستقرت القلادة الذهبية في مكانها المطلوب.

احنت فيونا رأسها قليلاً لا تدري ما يجب ان تفعل الآن ونظرت الى الرجل ولمست القلادة ثم فتحت يديها وادنتهما منه ورددت هذه الحركة امام ازيوني واخيراً رفعت يديها للسماء كما فعل الجميع مثلها تماماً وهمست مبتسمة «شكراً».

قال كليف مبتسماً:

ـ كيف تشعرين الآن وقد قام الزعيم بتكريمك بنفسه.

ـ تملكني الذهول ولم اكن ادري ما جرى حولي وبعدئذ هذه...

فتسمرت انظارهم على القلادة تطوق عنقها وتقطع اي مجال للشك والريبة حول صحة قصتها.

قال البروفسور دانن:

ـ هل تعلمين يا ابنتي انها من الذهب النقي الخالص.

ـ يجب ان اذهب لاصلاح هندامي. كنا سنذهب لمشاهدة الهيكل هذه الليلة. لم يبق لزفاف ازيوني عروساً للشمس سوى يومين فقط. العمل قائم على قدم وساق استعداداً لليوم المشهود.

انتهزت فيونا هذه الفرصة النادرة لتعترف لماكس، فاسرعت تقول عندما تأكدت من عدم استطاعة احد ان يسمعها:

ـ لا استطيع احتكار الفضل لي وحدي بهذا الشكل.

ـ اي فضل؟ لا تتحركي سألتقط لك صورة على الدرج.

ظلت واقفة حتى اخذ الصورة فقالت:

ـ الفضل لشفاء ازيوني.

ـ ولكنك انقذتها باعطائها الدواء.

ـ كلا وانت تعلم ذلك. انهم يعاملونني كأنني صنعت معجزة.

قال ماكس:

ـ هل تعلمين ما هذه بالضبط.

اجابت برقة خاصة:

ـ انها حلية جميلة جداً.

ـ لقد قدموا لك اغلى ما يملكون عرفاناً بالجميل. انها من الذهب المصقول بشكل خاص وتدعى: دمعة الشمس.

بقيت صامتة مأخوذة بنظراته وحركات يديه اكثر من رمز الشمس.

- انت هناك يا ماكس.

جاءهم صوت البروفسور من الخارج فنهض ماكس واستأذن بالذهاب.

نهضت وسارت الى الخارج تشاهد منظر الوادي، واذا بها وجهاً لوجه مع روجر فامسك بيدها متألق الوجه.

- تعالي انظري الى هذه. كنت ابحث عنك.

وسار بها الى درج ينتهي الى اعلى الهضبة قرب الهيكل.

سمعت خرير ماء لم تتبين كنهه. فتقدمت ثم وقفت امام ينبوع يتدفق ماؤه من صخرة مرتفعة قليلاً.

- هل انت مصغية؟

- طبعاً.

- ولكنك هادئة جداً.

- الا استطيع بأن اكون هادئة عندما اشاء.

- هكذا اذن! اظن بانك لم تعودي كسابق عهدي بك رقيقة الجانب ومرحة، اما الآن فانت تقابلين شعوري ببرود.

- اذا كان الأمر كذلك فلماذا تضيع وقتك معي؟ انا لا اريد جرح شعورك.

- كل ما فعلت اني طلبت الزواج منك.

اجابت:

- ولكني لست متأكدة من نفسي. ثم وقفت وجهاً لوجه معه عازمة على وضع حد للأمور بشكل لا يفيد اي واحد منهما.

- الجواب هو: لا اريد يا روجر. ولا اعدك بالزواج الا بعد سنتين. يؤسفني انني قبلت الخاتم منك وبذلك جعلتك تظن... لم اكن منصفة وغلطتي انني لم اخبرك منذ البداية.

عادت فيونا تقول وهي تتمنى من كل قلبها الخروج من هذا المأزق دون الاساءة اليه:

- آسفة ولست ادري بماذا ازيد على ذلك.

لزم الصمت برهة ثم سألها وقد ساورته الشكوك:

- هل هناك شخص آخر؟ شخص لا اعرفه.

ترددت قليلاً قبل الجواب لانها تكره الكذب لكنها قالت:

- بالطبع لا يوجد شخص اخر.

- هل انت متيقنة من ذلك؟.

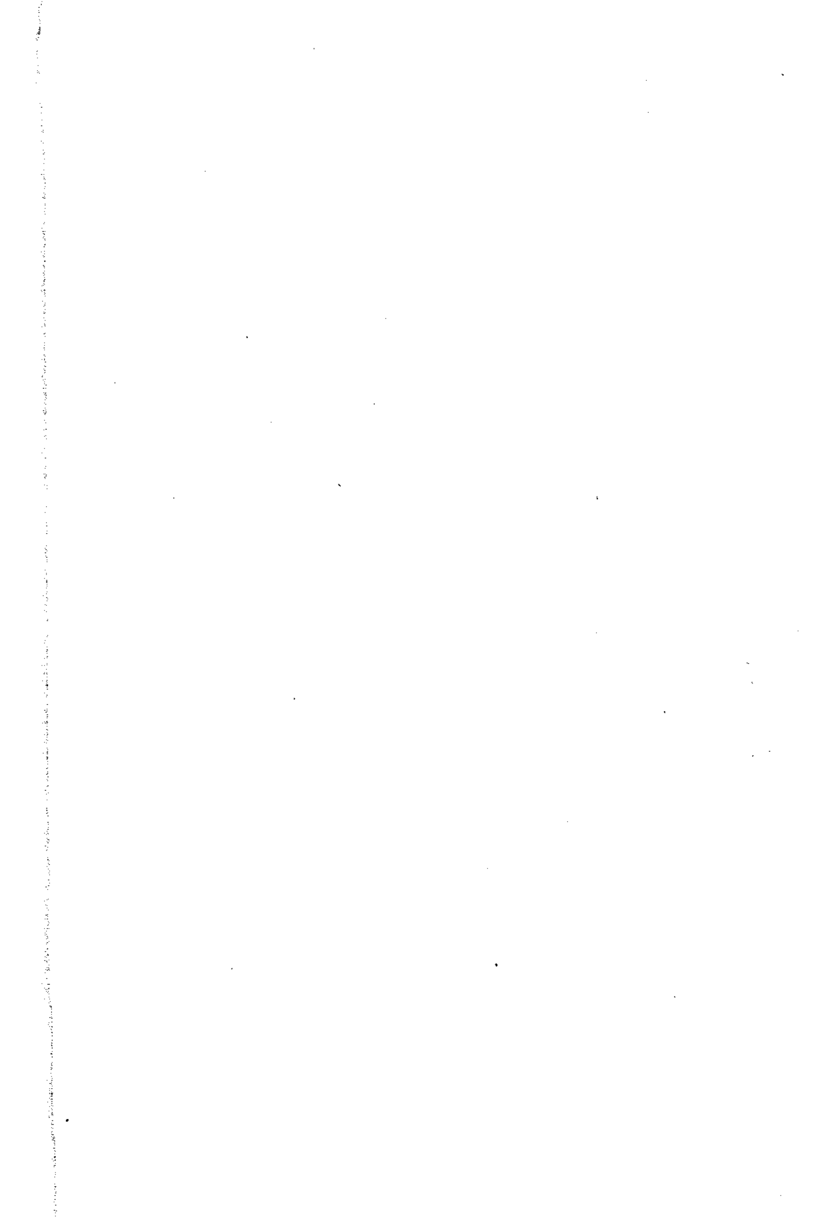
- بالتأكيد.

خرجت من ظل الهيكل ودارت حول الزاوية حيث رأت ماكس جالساً على بعد خطوات قليلة ينظر اليهما. خفق قلبها عندما رأته واحتارت في امرها. هل سمع طرفاً من الحديث؟ كانت تحاول قراءة افكاره وهي تسير لعلها تعرف من تصرفاته ما يدل على انه لاحظ او سمع شيئاً او انه اهتم بذلك لكنها لم تصل الى نتيجة فاقتنعت بانها تضخم الأمور كثيراً او تتوهم اشياء لا صحة لها. اخذت فيونا تستعيد للمرة الأولى احداث الأشهر القليلة الماضية بالتفصيل لكي تتبين منها كل ما قالته وسمعته ورأته عن ماكس فلم تتذكر اي اشارة الى حياته الخاصة. كل ما

تعرفه هو انه اشتغل في ليبا بالابحاث الطبية لثلاث سنوات وبعدها كان في سان فرانسيسكو وعمل قبلها في مهمة خاصة في بوسطن وانه قام بدراسة حول الاحوال المعيشية لقبائل الأدغال وتنقل كثيراً بين البيرو والاكوادور كما قام بحملة شعواء لانتشال ابناء الأحياء الفقيرة من بؤرة الأوضاع المزرية في اميركا الجنوبية.

استغرقت في النوم عند هذا الحد من شدة الارهاق. استيقظت متكاسلة ومرهقة بالمقارنة الى الحماس والنشاط الذي شمل الجميع في ذلك اليوم واختصت ازيوني باهتمام الجميع.

بدأت الاستعدادات للاحتفال بالزواج في مطلع صباح ذلك اليوم ابتداء من ازيوني التي اعدوها بأبهى زينة والبسوها اجمل الثياب وتسابق النساء الى خدمتها وعلى رأسهم اومايا التي اشرفت على الباسها الحلي والمجوهرات والمطرزات وتعطيرها بالعطور النادرة ومسخ شعرها بالزيت لكي تظهر بأروع وابهى شكل. وعندما انتهت الاستعدادات خرج الجميع من غرفة ازيوني تاركين العروس وحدها.



٧ - سارق الهيكل

ستبقى ذكرى زواج ازيوني في خاطر فيونا للأبد، علماً بأنها لم تتمكن من تركيز افكارها في الأيام القليلة الماضية الحافلة بشتى الأحداث والصور. الشمس شاركت ايضاً في الاحتفال فغمرت اشعتها الذهبية الوادي واضفت عليه رونقاً وبهاء.

اذا كان مهرجان النهار على هذه الروعة فمهرجان الليل فاقه بكثير. اشتعلت نيران الزينة وتمايل الراقصون وعلت هتافاتهم تحت وقع قرع الطبول وفي ضوء الأنوار المحيطة بهم. نسيت فيونا كل شيء عن الوقت حتى اقترح احد الرفاق ركوب احد القوارب المزينة والراسية على النهر. لم يلاحظهم احد فمضوا لتتبع الاحتفال بارتياح شديد شفت عنه ملامح السرور الذي

عبر عنه فيونا وكليف وماكس وجوناثان.

هل كانت وقعت في غرام ماكس لو انه اظهر عندما التقت به للمرة الأولى الصلابة والرجولة التي تعرفها فيه الآن؟ لا احد يدري وهي تشك بذلك رغم اعترافها بميلها لرجل قوي ومخلص لا يخشى اظهار عاطفته ولا يخجل منها.

نظرت فيونا الى نجم الشمال واخذت تفكر بما عانت من تعب في السير ذهاباً واياباً لحضور الاحتفالات. وما كانت تسمح لنفسها بأن يغلبها النوم لو علمت بأنهم سيتركونها غارقة في الأحلام الى ما بعد طلوع الشمس التي خطفت اشعتها بصرها عندما افاقت تجهل تماماً ماذا حدث.

قال كليف وهو على بعد خطوتين منها:

- يستطيع بعض الناس ان يناموا نوماً عميقاً!

فتنهدت وتحركت ببطء ترفع عنها البطانية وناموسية البرغش التي غطتها ثم قالت:

- من وضع هذه الأشياء؟ يا الهي هل هذا هو الوقت بالضبط وانا لا ازال... ثم نظرت الى النهر ورفعت يدها الى جبهتها واكملت:

- لماذا لم يوقظني احد؟.

- هذه الأوامر - قال كليف ساخراً واردف - تفوقت على جوناثان بأربعين دقيقة بالضبط. ثم انحنى ليساعدها على النهوض.

ـ اشعر بصداع شديد. اشكرك لانك انقذتني من لدغ الحشرات.

ـ لا تشكريني فلم يكن لدي عمل هذه الليلة.

ثم ساعدها على النزول واجتاز الالواح الخشبية المؤدية الى الدرج حيث كانت بانتظاره وعاد ليجلب البطانية وناموسية البرغش. خطر لها فيما كانت تجتاز برفقة كليف بأن ماكس هو الذي اهتم بها واصدر التعليمات الى كليف. لو لم تكن لا تزال مرتبكة للاحظت ان الشارع خال من المارة على غير عادته في مثل هذا الوقت او انتبهت الى نظرات النساء الغريبة اليها عندما عادت الى غرفتها. كن يرمقنها بنظرات التحدي والكراهية. وحين انتهت من زينتها وارتداء ملابسها سارت الى حيث يقيم رفاقها تستطلع احوالهم. السكون الشامل يخيم في كل مكان فلا اثر لاحد منهم. لم تجد ماكس ولا عمها ويا للغرابة، لانهما عادة لا يتغيبان معاً ولم تفترق عن كليف الا منذ ساعة تقريباً. فاحتارت في امرها وعادت الى الحدائق تفتش في كل مكان فلم تجد اي اثر لهم. ربما كانوا في زيارة للقائد او في رحلة استشكافية دون علمها. ثم اسرعت نحو البوابة الكبرى المغلقة فاذا بها وجهاً لوجه امام اثنين من الشيوخ.

صرخت خائفة فامسك احدهما بذراعها ليمنعها من الهرب وتكلم مع رفيقه بلغتها الخاصة. هزت برأسها لتشير الى انها لم تفهم شيئاً. ولاحظت لأول مرة ان نظراتهم عدائية وقاسية.

افلت الشيخ ذراعها فعادت تحاول افهامهما قصدها فتبادل الرجلان النظرات ثم هزا برأسيهما واشارا اليها كي تتبعهما.

اطاعت وهي تفكر بماذا سيحدث لها. ثم ادركت انهما يسيران بها الى قسم من البناء تجهله تماماً، فتوقفت. دفعها احدهما دفعاً للامام وللسير في ممرات عديدة وتحت قناطر بنيت جميعها بحجارة فخارية وارتجفت من الخوف عندما ازاح احدهما ستاراً واكتشفت ان المكان يزدحم بالحواجز الخشبية خلافاً للأماكن الاخرى. انفتح الباب عندما ازاح العارضة الخشبية من الحائط على غرفة كبيرة خاوية فاستدارت بدافع الحذر لكنهما دفعاها الى الداخل واغلقا الباب. اخذت تدور وتدق الحواجز بيدها وتصرخ. ولكن لا حياة لمن تنادي.

الوقت يمر ببطء شديد وهي لا تنفك تنظر الى ساعتها المرة تلو الاخرى والنور بدأ ينحسر بسرعة حتى كادت تصرخ من الخوف.

خيم الظلام على السجن فلم يعد بامكان فيونا ان تتبين اصابعها فدارت بعنف تتلمس طريقها الى الباب والعوارض الخشبية، علها ترى بصيص نور او تسمع صوتاً بين فتحاتها يدل على انها ليست وحيدة لكن املها خاب. فلم يكن هناك سوى السكون والظلام والخوف الذي لا يمكن التغلب عليهم. لا بد من ان يكون قد وقع حادث فظيع... قد لا تراهم مرة ثانية، كليف، روجر، العم فيل، ماكس، اين هم الآن؟

جمدت الكلمات على شفتيها وتعثرت في الظلام فاستندت على كومة الجلود ووقفت ثم سقطت الى الأمام، فاخذت تزحف على ركبتيها والدموع تتساقط من عينيها رغماً عنها. لا يمكن ان يكون ما يجري حقيقياً. انه حلم مخيف فقط وليس هناك ما يبرره.

فجأة سمعت صوت العوارض تتحرك واصواتاً مكبوتة تقترب من بعيد فبدأ قلبها يخفق بسرعة. لعلهم قادمون. ثم انفتح الباب، همست مكسورة الخاطر:

ـ اهذا انت يا ماكس؟

كاد ان يغمى عليها من شدة الفرح لو لم يسارع لمساعدتها وهو يلهث من شدة الغضب مثلها. غفلت لفترة وجيزة عن كليف وجوناثان من ورائه مع عدد اخر من الرجال. استعاد ماكس رباطة جأشه، لكن صوته بقي متهدجاً عندما بدأ يستفسر منها قائلاً:

ـ منذ متى انت هنا؟

ـ منذ الظهر. ظننت بانه لن يأتي احد منكم، ماذا حدث يا ماكس وما هو السبب؟

ـ يجب ان نخبرك بفرار هارمون ولم نجد له اثراً.

وزاد جوناثان:

ـ لقد سرق رموز الهيكل.

ـ يؤسفني ان يكون ذلك صحيحاً، قال ماكس، لقد سرق

عدداً كبيراً من الشمائر التي لا تعوض والمصنوعة من الذهب والفضة كما يؤسفني ان اخبرك عن اصابة عمك ايضاً بمكروه.

- اواه لا يمكن... العم فيل؟ ماذا حدث؟

- هوني عليك فلا خطر عليه. والآن هيا بنا نخرج.

امسك بيدها وسار بها ماراً بالقرب من الشيخين الواقفين في الخارج بدون ان يعترضا سبيله.

سألته فيونا بصوت مرتجف:

- اين العم فيل؟

سألت مبدية اهتمامها الأول بعمها قبل اخبار هارمون المحزنة.

- في غرفتي. كان همنا الأول عندما علمنا بالسرقة القيام بالبحث ومد يد المساعدة، اصر عمك على مرافقتنا فزلت قدمه هناك قرب الهيكل وانكسرت عظمة في رجله فحملناه وعدنا به. والآن لا تقلقي لقد قمنا بما يلزم وهو يرتاح هناك. لكن لسوء الحظ كان ينقصني...

توقفت وشردت افكارها ثم قالت:

- لكنه لن يتمكن من السير ما دام يعاني من كسر في رجله. كيف نستطيع ان نعود يا ماكس وماذا سيكون وضعه؟

- لنترك الاهتمام بهذا الأمر للوقت المناسب. هل انت بخير؟

- اجل اني بخير الآن.

اتجه ماكس اليها وناولها كوباً وعلبة بسكويت:
ـ تناولي هذه لئلا نفاجأ بحادثة اخرى لأنك لم تتناولي طعاماً منذ البارحة.

عاد يتصرف كالسابق بشكل حازم وعملي. لكنها الآن تنفذ جميع اوامره عن رضى وامتنان، فأكلت وشربت بينما كان يفحص عمها ثم ارسل كليف روجر بمهمة لدى الشيوخ واعد وجبة طعام للجميع. استعادت فيونا نشاطها اثناء تناول الطعام وانتظار وصول الشيوخ للاجتماع واصبح بمقدورها ربط وقائع الليلة الماضية بعضها ببعض. بعدما ترك ماكس القارب وعاد صباح ذلك اليوم وجد البروفسور يواجه اتهامات الشعب السري باضطراب شديد. لقد اكتشفوا عند الفجر المسروقات كما اكتشفوا فقدان بعض معلبات الطعام من مخزن الطوارىء واختفاء امتعة هارمون من الغرفة التي يتقاسمها مع جوناثان، بالاضافة الى اختفاء فرس من الاسطبل. ثارت ثائرة الشيوخ يطالبون باعادة رموزهم وزاد انتشار الخبر في المدينة الطين بلة. فذهبوا للانضمام الى حملة التفتيش وهكذا نسوا فيونا تماماً.

ـ اذن فهارمون مختبىء الآن في مكان ما.

تجهم وجه ماكس وقال:

ـ لا نستطيع الجزم. نحن نعلم بوجود ممر من المفروض ان يكون مسدوداً بسبب الانهيار ولكن قد يكون سالكاً من هذه الجهة. يبدو لي ان انهيار الارض لم يكن كبيراً بقدر ما ذكر لنا

وانه يحجب الممر عن القادمين من الخارج ويمنع مرور البغال وهذا ما يناسبهم لعدم رغبتهم بمغادرة الوادي حيث يجدون كل ما يحتاجونه ويعيشون بأمان من شر المتطفلين والغزاة.

فقال كليف:

- الى ان اتينا نحن!

تابع ماكس كلامه كأنه لم يسمع شيئاً:

- اميل الى الاعتقاد ان هارمون سلك الطريق عبر التلال ولا اظن بأنه يختبىء في مكان هنا في الوادي خوفاً من العثور عليه، وليس معه مؤونة كافية ولا يرافقه احد سوى الفرس. ثم التفت ليحي الشيوخ الأربعة الذين دخلوا الحجرة حينذاك. التفت الجميع حول سرير البروفسور وافتتحت الجلسة. ودت فيونا اكثر من اي وقت مضى لو انها تفهم لغتهم. كان الشيوخ يتكلمون ببرود ثم توتر الجو قليلاً من حدة النقاش. يبدو ان ماكس حاول جاهداً اقناعهم باتباع اسلوب معين قابلوه بالرفض القاطع واخيراً انسحبوا تاركين فيونا في ذعر شديد تنتظر كلام ماكس.

- حسناً. تنهد ماكس اخيراً واشعل سيكارة وتابع: نحن نشكرك على ما فعلت من اجل ازيوني ولو لم اذكرهم بذلك مراراً لما وافقوا على تقديم اي معونة نطلبها لذهاب اثنين منا للحاق بالسارق والعثور على المسروقات واعادتها لهم بينما يبقى الآخرون هنا الى ان يتم ذلك.

ـ علينا المباشرة بالاستعداد فوراً انا وكليف فلا نأخذ معنا الا الضروريات ونكون جاهزين للرحيل مع طلوع الفجر. سيقدمون البغال والمرشدين ويسيرون بنا الى سفوح التلال عبر الوادي ومن ثم نتسلق التلال سيراً على الاقدام وقد نمضي ليلة على الاقل في الجبال.

ـ مهلاً: قال البروفسور بنبرة خاصة جعلتهم يلتفتوا اليه. يجب ان يبقى كليف هنا وتذهب انت يا ماكس برفقة فيونا.

فأجاب بدهشة:

ـ مستحيل. لست جاداً. انها لا تستطيع تحمل المشقات ولا نعلم ماذا ينتظرنا من عقبات.

ـ عليها ان تواجه الصعاب عاجلاً ام آجلاً ولا فرق بيننا وبينها والا بقينا هنا كما بقي فون شوميل. ارجو ان تأخذها معك وافعل ذلك من اجلي. ماكس اسرعوا بالذهاب قبل فوات الفرصة.

ظلت فيونا صامتة اثناء النقاش يتنازعها عاملان، الأول رغبتها باغتنام الفرصة التي اتاحها لها عمها والثاني البقاء بجانب عمها للعناية به، واخيراً وافق ماكس مرغماً ثم اخذ يهيء الحاجيات الضرورية فقط من مأكل وملبس وسواها تناسب مناخ الجبل البارد.

غصت فيونا بريقها عندما انحنت لتودع عمها.

ـ رافقتك السلامة يا عزيزتي.

لم يكن احد يعلم حتى ماكس نفسه بانها خبأت بين امتعتها بعناية فائقة فيلمين وعينة من الزهرة ملفوفة بدقة ومذكرات تخص عمها الذي استلقى بضعف على الديوان.

سارت القافلة الصغيرة حتى الظهر بين مزروعات الذرة ومدارج الحقول والمراعي حيث كانت قطعان الوعول والمواشي الاخرى تسرح باطمئنان حتى وصلوا الى التلال الجرداء وطرقها الوعرة.

عند المساء ضربوا خيامهم واستراحوا حتى الصباح الباكر فعادوا يجدون السير. وما ان اقطعوا مسافة ميل تقريباً حتى عثروا على الفرس المفقود بدون فارس. توقف الدليلان عن السير ونظرا الى ماكس شذراً ثم ربط احدهم عنان الفرس الى سرج فرسه وتابعت القافلة سيرها. انتعشت آمال فيونا لدى العثور على الفرس. لا بد ان يكون هارمون قد سلك هذا الطريق. ورغم انه سبقهم بحوالي اربع وعشرين ساعة فانهم سيلحقون به قريباً لأنه يسير على قدميه الآن. نظرت الى ماكس في المقدمة وفكرت بانه لا يرضى الوقوف موقف هارمون عندما يحين وقت العقاب، لكنها صدمت عندما رأت الطريق اذ مروا قرب منحدر خطراً وتلاه منعطف اشد خطراً وضيقاً وبدا بوضوح الآن انهم في اول الممر.

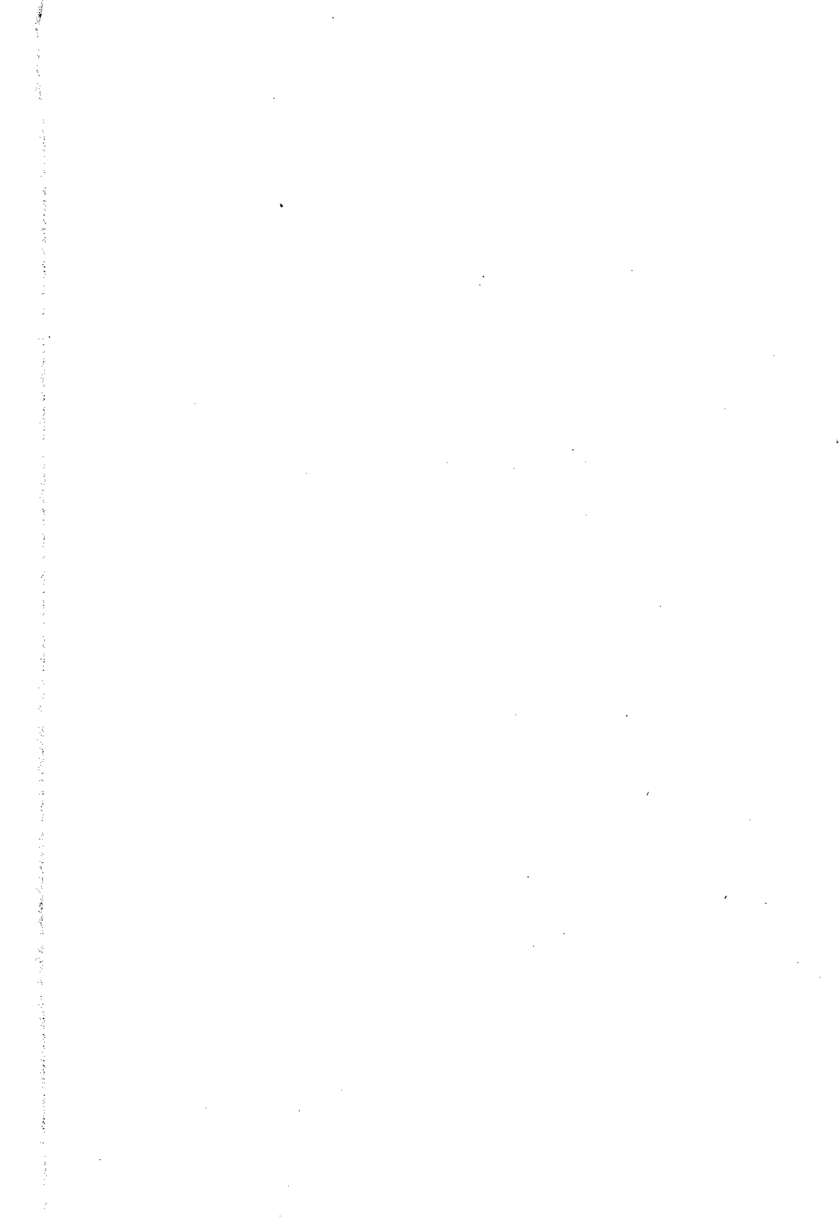
عند ذاك توقف الدليلان واشارا بوضوح. فترجل ماكس ثم ساعد فيونا على الترجل وانزل الحمولة فيما كان الدليلان ينظران

اليه مشدوهين. لم يشأ اصطحابها معه. لقد ذهبت كل بشائر التفاهم هباء منثوراً وعاد يرى فيها عبئاً ثقيلاً. ولما التقت انظارهما قرأت في عينيه ملامح الشك والتأفف فرفعت رأسها بعنفوان قائلة:

ـ لا تشغل بالك. اني اعرف باننا اصبحنا وحدنا لذلك افضل الموت على خذلانك.

ـ لعمري هذا امر ضروري.

ركزت الحزمة على كتفيها وربتت على عنق الفرس ثم شكرت الدليلين، علماً بأنهما لم يفهما ما قالت واستدارت متوجهة نحو المجهول. اخذ وقع حوافر الخيل يبتعد شيئاً فشيئاً حتى تلاشى كل شيء ما عدا صوت خطواتهما هي وماكس فقط. الوادي من ورائهما والجبل من الأمام...



٨- حياة الكهف...

شعرت فيونا بالتعب قبل الوصول الى مكان الانهيار الذي أغلق الممر. وقد استغرق تسلق الجبل عدة ساعات قبل أن تعترض طريقهما أول صخرة فتوقفا عندها وراحت فيونا تراقب ماكس وهو يتفحص الصخرة علّه يجد مكاناً يسلكان منه.

وقف ماكس على طرف الرف الصخري المقابل تحت نتوء بارز وقد عكس خيط رفيع من النور ظله على صفحة الصخر وكان ينظر الى الصدع بعينين شبه مغمضتين اتقاء للنور بانتظار وصول فيونا.

وصلت الى جانبه فبادرها:

ـ هوني عليك وانظري.

انتعشت عندما رأت هذا المنظر واستعادت نشاطها وقواها فأمسكت بيده لا شعورياً كأنها تستحثه على الاسراع في عبور هذا الخط الرفيع الذي يقودهما الى الرقعة الخضراء التي يقصدونها منذ البداية، أي الغابة. تقدم ماكس بضع خطوات وقال:

ـ الا تعلمين بأنها أبعد مما تتصورين لكننا سنصل الى هناك بعد ظهر غد.

ـ غداً؟ ولكن لماذا لا يكون هذه الليلة.

ـ وفي الظلام الدامس هل جننت؟

فنظر الى ساعته وقال:

ـ ارتاحي قليلا بينما أذهب للبحث عن مأوى مناسب.

أخذت تعبث بأشرطة أحزمتها ثم وقفت بارتباك متمنية ان يتركها وحدها لكنه بالعكس اقترب منها وقال:

ـ اتركي هذه.

ـ لماذا؟

أخذ يحل اشرطة الأحزمة بعدما أبعد يدها عنها بالقوة ووضعها جانباً ثم قال:

ـ لا تجادليني. يكفيك ما فعلت الآن. اجلسي.

تبينت من لهجته ان لا مجال للاحتجاج فجلست على الحزمة

وهي تسأل نفسها لماذا احبت ماكس كريستبرن. اخذ ماكس يفتش امتعته حتى وجد حصيرته الطويلة فناولها اياها وقال:

- خذي هذه وضعي يديك في الأكمام بينما أبحث عن مأوى لنا.

اخذ ينزل الطريق المتعرجة بدون ان ينتظر جوابها وغاب بين الصخور. والآن هذا هو الجواب على تساؤلها: مهما كان قاسياً ومزعجاً فذلك أفضل من غيابه. ظهر ماكس بعد برهة عائداً فيما كانت تنظر أمامها وقال:

- انها تصلح للمبيت، اعطني هذه وهيا بنا.

ثم حمل الحزمتين على كتفيه ومد يده الأخرى ليساعدها على اجتياز الطريق الضيقة المؤدية الى صدع الصخرة. دخلا من الفتحة الى ما يشبه الكهف. المكان واسع والسقف منحدر قليلا والهواء بارد تشوبه رائحة العفونة. وضع ماكس الأمتعة على الأرض وراح يأخذ منها ما يحتاجاناه للمبيت من أكياس النوم والبطانيات الصوفية وكلها من صنع الشعب إلسري. وبدأ يحضر الطعام من المعلبات.

وبعد لحظات نظر اليها وأحس بتأففها فقال:

- أنت بحاجة للوقاية من قشعريرة البرد.

فاستجابت لأوامره بقلب مثقل واحتفظت بما عليها من ثياب وخلعت حذاءها فقط ثم لبست كيس النوم، فنشر فوقها بطانية

وجلس على طرف الغطاء يرتب أوعية الطعام. مدّت يدها لتأخذ احدى علب الحساء الساخن بين يديها فمنعها بسرعة قائلا:

ـ اشربيها عوضاً عن تدفئة يديك لأن الدفء الخارجي ضار جداً.

فأطاعت بصمت ولكن على مضض. تنهدت وهي ترقد في الكيس ثم أخرجت من أمتعتها آخر علبة سكاير لديها فانتزعها من يدها، لكنها لم تحتج لأنها استسلمت للانقباض النفسي.

أخيراً هدأت الحركة استعداداً للنوم فناداها:

ـ هل انت بخير؟

ـ نعم.

ـ أدرك بأنها غير مريحة ولكن يجب ان ننام.

كانت تسمع صوت تنفسه البطيء المنتظم، فأدركت حالا بأنه يسمع صوت تنفسها ايضا في هذا المكان المنعزل. فتسارعت دقات قلبها وانزعجت. فودت لو انها تسترخي وتتمدد لكنها لم تستطع ذلك.

اطبقت أجفانها تتنازعها الأحاسيس وقساوة الأرض وفجأة خطر لها انه يتمنى لو كان بعيداً جداً عنها ففضلت صقيع الجبل على وضعها الحالي، فلن يغمض لها جفن وهي تسمع تنفسه وظنت انها على وشك ان تكرهه لأنه اجبرها على قبول هذه

الحالة... تكرهه لأنها تحبه فهو يستطيع تحمل مسؤوليتها.
قالت بصوت مختنق:
- آسفة لا استطيع النوم على مخدة من ريش.
ثم وضعت رأسها على ذراعها وشعرت فيونا بحركة مفاجئة وسمعته يقول:
- أقلبي للجانب الآخر.
الا يستطيع ان يتركها كما كانت عوضاً عن ان تدير وجهها نحو الصخر البارد في هذا الدهليز الرطب؟ لم لا يدعها ترقد كما تشاء؟
- لماذا يا فيونا تعقدين الأمور بهذا الشكل؟ انا لست من صخر أصم.
- وأنا كذلك. ولذلك ابتعد ونم.
- لماذا هذه الحماقة؟ اهدأي واستمعي لما أقول. لقد تعهدت باعادتك سالمة ولن اتراجع ابداً. قرري الآن فاما ان تهدأي وتنامي والا فاني سأشد وثاقك.
ثم أدار ظهره وكثّف غطاءه على نفسه مما ساعد فيونا على استرجاع انفاسها فقد يربح الضعف والحب والسخافة في نهاية الشوط.

استيقظت فيونا عند طلوع الشمس منحرفة المزاج من الرقاد على الصخر وكان المفروض ان تستقبل هذا اليوم بهمة ونشاط لكنها بالعكس استغربت كيف نامت في هذا الليل الكئيب

وكيف ستواجه ماكس طيلة نهار هذا اليوم. ليتها تجد مخبأ يقيها من نظراته. تنهدت وتقدمت نحو حافة الصخرة والهواء العليل يداعب وجهها ببرودة منعشة فأدخلت يديها بجيوب السترة حيث لمست اشياء تجهلها. هذه ليست سترتها فلا يليق بها ان تفتشها ثم عادت الى الكهف. حيث طالعها ماكس بقوله:

- انهيت كل شيء كما ترين. الأفضل متابعة السير بسرعة.

فوجىء الأب لورنزو بوصولهما الى الارسالية عند الظهر. قاطعه ماكس مستفسراً عما اذا كان صادف هارمون بالقرب من الارسالية. هز الكاهن رأسه وقال:

- لم نشاهد احداً منذ ذهابكم. أرجو ان تخبرني ما حدث.

- ستخبرك فيونا عن كل شيء. يجب العثور على هارمون فلا يمكن له الابتعاد كثيراً من هنا لهذا الحد.

- نعم يا صديقي ولكن يبدو عليك الأعياء.

تدخلت فيونا وقالت:

- هرب هذا الرجل من فريقنا بعد ان سرق أشياء ثمينة ومقدسة من الهيكل ويجب علينا ان نعيدها كلها اليهم. لا يزال الآخرون في الوادي ويجب علينا مساعدتهم.

قال الكاهن الهرم ببساطة:

ـ قولي لي ماذا استطيع ان أعمل يا ابنتي.

اجاب ماكس عن فيونا:

ـ أريد الوصول الى هوامانو بأقصى سرعة لاعلام السلطات هناك وتدبير طائرة مروحية لنقل البروفسور بسرعة الى المستشفى نظراً لحالته الصحية.

ـ بالتأكيد يا ولدي، انا لدي اقتراح أفضل. سنرسل رسالة الى المدينة ونجد دليلا لمرافقتك. اما فيما يختص بالرجل الذي خانكم... فأخشى انك لن تجده بسهولة هناك.

لاحظت فيونا الأب عندما نظر الى الغابة الكثيفة المظلمة وكأنه يشاطرها مخاوفها.

ـ لا تزال بغالكم هنا تحظى بعناية تامة. ساعمل على تجهيزها واذهب الى التابيلوس حالا. سيستغرق هذا طبعاً بعض الوقت، خذوا حاجاتكم مما لدي هنا. لا لزوم ان أذكركم بوجوب الاعداد للرحلة قبل دخول الغابة. واتجه نحو القرية.

ـ أنا ذاهبة لأغتسل وعندما يأتي دورك اكون قد حضرت لك طعاماً.

لم تكن تتوقع رؤيته عندما عادت من الخيمة المخصصة للاغتسال لكنه كان في الصالون يوضب بعض الأطعمة المعلبة بسرعة وعصبية.

أخذ منشفته وقال:

ـ لن آخذ وقتاً طويلا. فباشرت فيونا باعداد وجبة خفيفة من الطعام.

عاد الأب لورنزو بينما كان ماكس يتناول الطعام وبادر قائلا:

ـ لقد تدبرنا الأمور. هنا رجلان ينتظران الآن ويستطيعان تسليم الرسالة في هوامانو بعد يومين ونصف فاكتبها اذا شئت. كذلك جهّزت لك دليلا اسمه جيمو يعرف بالخبرة فيما اذا كان رجل ابيض قد سبقك على الطريق نفسه.

ـ شكراً لك.

قال ماكس. وأخذ يكتب الرسالة بسرعة وسلمها الى الرجلين ثم وضع الحاجيات الضرورية على احد البغلين بينما كان الدليل ينتظر راكباً بغله ويحمل على جنب حزامه مدية وعلى كتفه بندقية قديمة.

اخيراً أسرج ماكس البغال وساروا باتجاه الغابة.

كانت السماء صافية وأشعة الشمس ترسم ظلالا على الأرض. اما مدخل الغابة فقد كان مظلماً بسبب كثافة الأغصان الخضراء التي غابت تحتها البغال الثلاثة.

لزمت فيونا الصمت واكتفت بالسير في آخر القافلة وهي تتحسر على أيام الوادي عندما حققت بعض التقارب مع ماكس أثناء مرض ازيوني لكن ذلك ذهب هباء منثوراً بسبب ما حدث بينهما على الجبل.

خطر ببالها هارمون فتجرأت بالسؤال عن أي أثر لاحٍ لرفيقيها يدل على دخوله الغابة لكن جواب ماكس كان ناشفاً وغامضاً لا يشفي الغليل، فقررت عدم السؤال ثانية. كان الدليل يسير في المقدمة جامداً كالصخرة لا يشير بشيء عن وجود أمر غير طبيعي وعند غيابِ الشمس تركهما وذهب وحده ليصطاد طعاماً.

لم يبق لها ما يشغلها بعدما تمنى لها ببرود تام نوماً هادئاً الا الأفكار والذكريات التي تجيش في صدرها، فاستراحت تحت مظلة الاغصان الكثيفة. كيف يستطيع رجل واحد ان يسبب لها كل هذا التبدل بدون اي جهد يذكر فيحول عزتها الى شوق لا أمل فيه ويخضعها لارادته.

احست عند طلوع النهار بدافع جعلها تفتح عينيها بحذر فرأت شبح الهندي ينحني فوق ماكس وهو لا يزال متمدداً، فجلست بسرعة تستطلع بعامل غريزة البقاء ماذا يفعل هذا الهندي.

جلس ماكس وتبادل الكلام مع الدليل ثم نهض وتناول سترته وذهبا بدون ان يلقي نظرة على فيونا وغابا معاً في ظلمة الغابة.

لم يطل تردد فيونا فأسرعت تقتفي اثر ماكس والدليل لا تبالي بالعواقب.

رأت ماكس ينتصب واقفاً ويتقدم خطوة ثم يلتفت الى

المندي الذي هز برأسه ثم عاد لمكانه. اختبأت فيونا تنتظر بدون حراك بينما كان المندي يمر بقربها ثم خرجت بعدما تأكدت من ابتعاده مسافة تمنعه من سماع صوتها. وأسرعت بخطى ثابتة نحو ماكس.

اخذت الطريق تضيق حتى اصبحت تشبه النفق وصارت الحشرات الزاحفة تهاجم قدميها والحشرات الطائرة تصفع وجهها. فتوقفت قليلاً لأنها لم تسمع صوت ماكس ولا رأته، كأنه ضاع في تيه الأدغال. لماذا رجع المندي؟ ليصطحبها ام لينصب مخيماً ام ليقول لها ان تبقى مكانها؟ قد يكون من الأفضل ان تعود.

انتبهت لوجود أغصان مكسرة فظنت انه مر من هنا، ثم اسرعت الخطى لا تبالي بالخدوش والحشرات من حولها. انفرجت كتلة الأدغال الكثيفة بعد مسافة قصيرة عن فسحة صغيرة مصنوعة حديثاً فتعثرت قدمها وكادت ان تقع فوق رجل راكع مختبىء هناك. لم تصدق فيونا ما رأت، فيما قفز الرجل واقفاً واستدار مذهولاً أكثر منها:

ـ هارمون.

ـ ماذا؟ كيف تمكنت...

اندفع فجأة للأمام فاستعادت كامل وعيها وصرخت صرخة مدوية: ماكس... انه هنا.

ـ لماذا... انت؟

ظننت لأول وهلة انه سيقتلها لكنه استدار والتقط حزمته من الأرض بعنف تاركاً وراءه بلا مبالاة أثار اقامته عن علب فارغة وآلة تصفية المياه وغطاء للأرض وما شابه.

لحقت فيونا بهارمون لا تبالي بالمخاطر، وفي ظنها انه سيخبىء المسروقات في مكان ما ليعود فيها بعد. لكنه لن يتمكن من معرفة مكان المخبأ اذا عاد لأن الغابة كفيلة بطمس كل أثر خلال أيام قليلة لسرعة نمو الاعشاب. صرخت بأعلى صوتها وهي في أثره:

ـ كلا لن تتمكن من الفرار يجب ان... ثم أسرعت وخطفت الحزمة من يده.

ـ اتركيني، دعيني وشأني ايتها الحمقاء. قال بعنف ووحشية.

فاجأها بضربة اصابت جانب رأسها افقدتها توازنها، وانتزع الحزمة من يدها ثم انقض عليها بهمجية جعلتها تتدحرج على الأرض.

ـ والآن. قال يهددها ووجهه يقطر سماً: أسكتي والا أذيتك اذا أصدرت أي صوت.

تراجع الى الوراء وهو يراقبها فظلت ممددة دون حراك وعيناها مسمرتان عليه:

ـ كوني حكيمة ايتها الفتاة... وانحنى ليحمل الحزمة مبتسماً بسخرية فاذا بماكس يظهر بين الأغصان. تراجع هارمون للوراء

وقال:

ـ هذا انت يا كريستبرن.

فتنها ت فيونا شاكرة الله. وضع هارمون الحزمة على الأرض وانقض على ماكس واشتبكا في عراك عنيف. ترددت أصداء هذا العراك في الغابة فتطايرت العصافير من أوكارها.

استجمعت فيونا قواها ونهضت تنظر الى الرجلين المتشابكين يتدحرجان على الأرض وينقلبان تارة لليمين وأخرى للشمال في صراع دام بدون رحمة.

وعندما رأت الدم يسيل من فم هارمون والرضوض تغطي وجه ماكس صاحت وبادرت هارمون برفسة محكمة جعلته ينتصب واقفاً ولكن ليقابل ماكس الذي سارع للنهوض ايضا واشتبكا بالأيدي. أخذت فيونا تصرخ عالياً:

ـ كفى... كفى...

لم يستجب احد لصراخها فالتفتت وشاهدت الهندي آت من بين الأشجار فاندفعت نحوه مذعورة ترجوه بالاشارة ان يفرق بينهما. وعندما سحب الهندي بندقيته قالت:

ـ كلا، ليس بهذه الطريقة...

اغمضت عينيها عندما رأت هارمون يقع ثم ينهض ثم يرتمي ثانية ويتخبط في كومة من أغصان الخنشار الشائكة ثم لمس

ماكس وجهه بيديه والتفت الى فيونا وقال:

ـ هل أصابك بأذى؟

ـ كلا وأنت؟ هل أنت بخير؟ هل جرحك؟ ماذا على وجهك... لقد حاولت منعه لكنه...

لم يكن مصغياً اليها. ذهب الى حيث كانت الحزمة ملقاة جانباً وسحب منها شيئاً ما ان تعرض للنور حتى لمع بريق الذهب النقي. فتراجع الهندي الى جانب فيونا حائراً.

أعاد ماكس كل شيء الى الحزمة وأحكم ربط الأشرطة فتأوهت فيونا ونظرت بعيداً فتوترت اعصابها حالا لأنها رأت هارمون يتململ ويحاول الجلوس محدقاً بشراسة في ماكس كريستبرن. وقد أمسك بشيء لم تتبينه جيداً ثم سمعت صوتاً مدوياً.

صاحت بأعلى صوتها ولكن بعد فوات الأوان: انه يحمل مسدساً.

زحف هارمون حتى وقف وصرخ. فانبرى الهندي، ثم دوى صوت انفجار آخر مزق السكون فالتوى ماكس على رجليه الى الخلف واذا بطلقة أخرى تدوي ونفرت عصافير الغابة مذعورة. تسمرت فيونا في مكانها لا تدري أحلم هذا ام حقيقة؟ ثم رأت ماكس ممدداً على الأرض.

خالت المسافة التي تفصلها عنه ميلا او اكثر. فخرت على

ركبتيها ورأت خطاً رفيعاً على جيب قميصه عند الصدر فصرخت:

ـ ماكس. . . ماكس عدة مرات وماكس لا يجيب فظنت انه فارق الحياة فلمست صدغه الذي تلطخ بالدماء. حاولت ان ترفعه قليلا ثم توقفت مخافة الحاق الضرر به تمتمت: يا الهي ما العمل؟ خطرت لها فكرة ففتحت قميصه لتسمع خفقات قلبه لكن قلبها كان يخفق بسرعة لم تمكنها من التفريق بينهما. فأزاحت القميص عن الموضع الذي استقرت فيه قطعة من المعدن. وراحت تبحث في جيبها عن منديل نظيف فسمعته يقول بصوت خافت:

ـ لا نفع في ذلك.

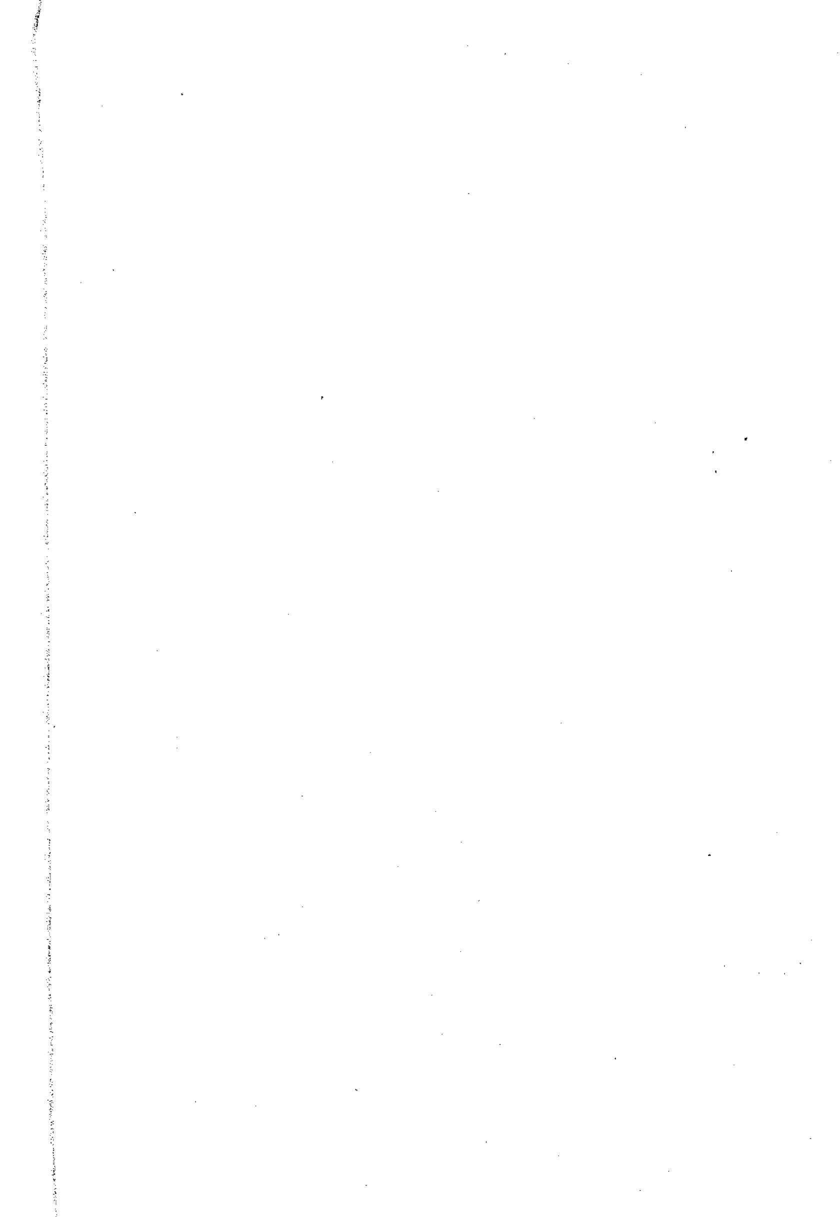
انتعشت فيونا لسماع صوته. فتح عينيه وتحرك يئن من الألم ثم رفع يده الى صدره. هتفت به:

ـ لا تتحرك لا تتحرك في هذه الحالة. . .

ـ يقولون انها تشبه رفسة البغل والآن عرفت لماذا. . . فتشي في جيبي عن شيء لتنظيف هذه الدماء.

عثرت على منديل، فقلبته على وجهه النظيف. من الصعب معرفة عمق الجرح او أين استقرت الرصاصة. وضعت المنديل في يده وهي تهز برأسها، فوضع المنديل على الجرح لكنه ليس ضماداً كافياً ولا معقماً. ليس لديها شيء آخر، فلجأت الى بطانة سترتها ونزعتها وصنعت منها ما يشبه الضماد الطويل

وربطته حول صدره فوق مكان الجرح ثم لبست السترة.



٩ـ لن يستمر الوادي سرّياً

وأخيراً ساروا بطريق العودة. هارمون ركب البغل تحت مراقبة الهندي الدقيقة وماكس على بغله بشكل غير طبيعي وفيونا على بغل آخر ومعها حزمتين تسير جنباً لجنب مع ماكس لمراقبته عن كثب ترقباً لعلامات الاعياء على وجهه الشاحب.

ولدى وصولهم التقت الأب لورنزو فبادرته بالقول تلافياً لاضاعة الوقت بالتفاصيل:

ـ لقد اصيب برصاصة.

ثم ملأت كل وعاء وصلت اليه يدها في الارسالية بالماء ووضعته على النار ليغلي وذهبت الى ماكس قائلة له:

ـ قل لي ماذا يجب أن أفعل.

نظر الى الكاهن ثم اليها وقال:
- أفضل ان تبتعدي عن ذلك. الأمر ليس سهلاً أبداً.
- لم يخطر ببالي ذلك، بل علينا القيام بما يلزم بسرعة. لقد هيأت الماء المغلي ويجب ان تذهب لغرفتي الصغيرة المعرضة لنور الشمس، والتفتت الى الكاهن وقالت:
-أريد قطعة قماش نظيفة وغطائين نظيفين احدهما للطاولة.
- سأحضر ما استطيع فأنا أعيش بتقشف. هل تفي المناشف النظيفة بالغاية؟
- أجل فمناشفنا أصبحت وسخة جميعها. ولما سمعت صوت غليان الماء اسرعت تنقل الطاولة الى غرفتها وجلبت الأوعية وابريقين ثم التفتت الى ماكس فوجدته واقفاً وقد خلع قميصه، اشار الى قميصه وقال:
- انظري. لم اكن لأصدق حدوث ذلك وبهذا الشكل حقاً.
التفتت فرأت علبة السكائر الفضية القديمة التي تعرفها جيداً ملقاة على القميص فتفحصتها والتقطتها قائلة:
- لقد تحطمت من زاويتها.
- ولذلك انحرفت الرصاصة.
- تقصد انها ليست غارزة في كتفك وان الجرح خارجي فقط.
- اخشى ان تكون بداخل الكتف لكنها كشطت الجلد الخارجي واستقرت في اعصاب الجهاز التنفسي. هل تستطيعين

يا فيونا القيام بما يلزم؟

فأجابت بحزم:

ـ سأقوم بأي عمل.

ـ اتمنى لو أتمكن من القيام بذلك بنفسي لكني لا استطيع رؤيتها ولا الوصول اليها واخشى الا يكون نظر الكاهن حادا كما يجب ولكن تأكدي اولاً.

فتحت علبة الاسعافات وتناولت الادوات اللازمة حسب تعليماته. فاخذ ماكس ابرة المورفين وانبوباً صغيراً يحتوي على الجرعة اللازمة المجهزة سلفاً للحقن وقال:

ـ سأقوم بذلك بنفسي.

خانتها رباطة جأشها عند ذاك فقالت ترجوه:

ـ ليس الآن اعد علي للمرة الثانية قبل ان تغيب عن الوعي.

ـ لن افقد الوعي. انها فقط للتغلب على الألم.

بلعت ريقها بصعوبة وأومأت برأسها فاخذ ماكس الابرة العضلية وتهيأ للعملية. لم تفقد وعيها عندما رأت الدم يسيل من الجرح كما تصورت، فقد استفاقت في نفسها القدرة الخارقة الخفية الكامنة في اعماق كل انسان والتي لم تكن تحلم بانها تملك شيئاً منها. ابقت الكبسولة التي تحتوي ابرة الخياطة الطبية مغلقة حتى انتزعت الرصاصة ووضعتها على قطعة الشاش ففتحتها وامسكت بها وباشرت بتقطيب الجرح الطبي وعندها انتبهت الى ان ذلك الرجل الجالس بقرب النافذة الذي يتحكم

بعواطفه، هو الرجل نفسه الذي تحبه بكل جوارحها وانها بانتزاع الرصاصة صانته من الهلاك، اما الآن وابرة الخياطة بين اصابعها فانها ستسبب له المزيد من الآلام والأوجاع.

تنفست بعمق والتفتت اليه. لم يتحرك، لكن وجهه شحب قليلاً وبدأ العرق يتصبب منه فقال:

ـ يجب احكام اغلاق الجرح تماماً. التقطيه بالملقط هكذا وسأساعدك. لا تفكري بأوجاعي.

ظنت في لحظة رهيبة بأن اعصابها تخونها فاذا به يحثها على المتابعة بلهجة فقدت شيئاً من الصرامة المعهودة فيه. خشيت الا تنتهي من التقطيب قبل انتهاء مفعول المورفين. مدت يدها لتأخذ المقص الذي ساعدها في التقاطه، امسكه لها فاحست بيدها ترتجف وان ثوبها قد التصق بظهرها من العرق. فهمست في اذنه:

ـ هل انت بخير؟

فتح عينيه ببطء وهو يتنفس بسرعة واومأ برأسه ايماءة واهنة. قالت:

ـ هل تستطيع احتمال آخر قطبة.

ـ هيا اكملي العملية.

أدار رأسه للجهة الثانية فانهت القطبة ثم ربطت الخيط بعناية فائقة وتناولت ربطة التضميد الجاهزة وقالت:

ـ هل تريد ان تفحصها قبل وضع الضماد؟

ـ كلا. وصرّ اسنانه فوضعت الضماد ثم احكمت توثيقه بشريط طبي لاصق وبعد ذلك مسحت العرق المتصبب عن وجهه وكتفه.

قالت بحنان:

ـ عليك ان تستلقي الآن. هيّا.

وضعت يدها تحت ذراعه المصابة فتقدم قليلا ثم ارتمى ممدداً على الفراش. فسألته:

ـ هل استطيع ان افتش امتعتك بحثاً عن قميص نظيف؟

اومأ برأسه موافقاً. التفتت نحو الباب فرأت الأب لورنزو واقفاً بصمت لا يبدي حراكاً.

ـ لازمي جانبه وسأجلب لك ما تحتاجين اليه وبعدها استطيع تقديم خدمة تعجبك، اعني الشاي المغلي جيداً.

فتمتمت قائلة:

ـ اجل. ارجوك.

التفتت بعد ذهاب الأب الى ماكس لتطمئن بأنها لم تقترف اي خطأ مهما كان قد يسبب مضاعفات خطيرة. ثم توجهت الى علبة الاسعافات واخذت تفتش في قسم الادوية عن كبسولة المضاد الحيوي فلم تعثر عليها بسهولة فارتبكت لأنهم استهلكوا اكثرها في علاج ازيوني وجوناثان عندما لسعته حشرة سامة، لكنها بعد جهد وجدت قنينة تحتوي على دزينة من هذه الكبسولات فسكبت بعض الماء في كوب ولمست ماكس برفق

واعطته الدواء. اعادت الكبسولة التي تركها في راحة يدها الى القنينة وحاولت بينما كان يشرب الدواء ببطء ان تسدها لكنها لم تتمكن فوضعت القنينة على الطاولة وغطتها بيدها اذ ادركت بأن الدواء قد اخذ يفعل فعله. بدأ العرق يتصبب منها فجلست على حافة السرير تلهث بشدة في محاولة للتغلب على الاعياء الذي فاجأها. رأت ماكس من طرف عينيها الزائغتين يحمل الكوب لكنها لم تستطع التحرك لتناوله منه حتى لو كلفها ذلك حياتها فوقع الكوب فجأة على الارض وانسكب الماء حتى وصل الى قدميها فاذا به يمسك بيدها ويقول بصوت عميق:

ـ اخفضي رأسك حتى تحت الركبتين.

اطاعت وهي تغالب الدوار الذي لولا قبضة ماكس القوية لأدى الى سقوطها أرضاً فوق كومة القطن الطبي الذي استعملته للعملية. قال:

ـ لا تخافي ستزول بسرعة.

بعد وقت بدأ الدوار يخف تدريجياً فتمكنت من رفع رأسها بجهد كبير والجلوس بانتظام. وقالت:

ـ آسفة. لا نفع في ذلك. وحاولت الوقوف فقال لها:

ـ اجلسي بهدوء.

شددت عزيمتها عندما ادركت بأنه كان يقف جهة الفراش الثانية فارتعدت خوفاً عليه وصاحت:

ـ كلا. عد الى الفراش.

ـ كنت ابحث عن هذه القنينة في علبة الاسعافات. خذي وتناولي شيئاً منها. لم استغرب ما حدث لك فقد اجتزت امتحاناً رهيباً.

ـ كانت محنة بالنسبة الي.

ثم تناولت قليلاً من الدواء فشعرت بالدفء حالا وبدأت تستعيد نشاطها.

ـ شكراً. يا لي من حمقاء.

اخذ العلاج منها ليضع السدادة ويعيده الى علبة الاسعافات. قالت:

ـ اعطني ذلك فقد تحسنت حالتي الآن. لكن حالتها لم تتحسن تماماً كما افترضت فقد ارتجفت يداها ولم تستطع احكام السدادة:

ـ لا اعلم كيف احتملت الألم وكيف جعلتني اقوم بكل ذلك بدون ان تتفوه بكلمة. كنت أقول لنفسي بأني انزع من جسمك شظية كبيرة لكن التقطيب... لم أكن اعرف كيف تربط العقدة الصحية، ثم هناك التعقيم فلست متأكدة من اني غسلت يدي كما يجب. اني آسفة.

ـاقتربي قليلا. لماذا انت آسفة؟ لقد انتهى كل شيء. انبذي هذه الافكار لتشعري بالتحسن.

قالت والدموع تملأ عينيها:

ـ يجب الا تتحرك فاذا لم يلتئم الجرح...

ـ بل على العكس غداً ساكون في أحسن حال وسيكون كل شيء على ما يرام. لقد كنت رائعة.

كان هذا الحنان الفجائي ابعد من الخيال فتبددت من نفسها كل رواسب الخيبة والقلق والتشنج التي انتابتها حتى هذه اللحظة فبكت كما لم تفعل في حياتها منذ الطفولة. بكت حتى ارتاحت نفسياً ثم نظرت اليه بعينين زائغتين فشعرت بالأسى لرؤية وجهه المتعب.

ـ سأذهب لأرى ما حدث للشاي الذي وعدنا به الأب لورنزو وبعدها يجب ان تنام.

اومأ برأسه موافقاً فخطر لها بأنها المرة الوحيدة التي يرضخ فيها ماكس كريستبرن لأحد. قال وهو يغالب النعاس:

ـ لا أريد الشاي ولا الطعام، أريد فقط الاطمئنان على المسروقات وهارمون. تفحصي الكيس جيداً وانقليه الى هنا.

ـ اعدك بذلك.

فاغمض عينيه المتعبتين.

ظلت جالسة تراقب تنفسه الى ان أصبح عميقاً فالتفتت فاذا بالكاهن يدخل الغرفة فاقتربت منه بسكون تام كي لا توقظ ماكس. فوضع الشاي وتقدم نحوه ثم قال لفيونا:

ـ اظن بأنك تضمرين له حباً كبيراً يا ابنتي، فلماذا تكتمينه؟

فهمست قائلة:

ـ لا بد من ذلك.

تنهد الكاهن ووضع يده على رأسها مؤاسياً فاغمضت عينيها لا شعورياً. لكنها تأبى المجاهرة بحبها لمن لا يريده. رفع الكاهن يده ومضى تاركاً فيونا وحدها للسهر على صحة ماكس.

عندما عادت الى جانبه بعد فترة من الزمن كان ماكس لا يزال نائماً فلم تشأ ازعاجه لكي تخبره بأن المسروقات في المكان الأمين حيث وضعوها عندما عادوا وهارمون في الغرفة الصغيرة الواقعة خلف البيت. أشاح هارمون بوجهه عنها عندما ذهبت الى غرفته للكشف عن حالته وتمتمت قائلةً:

ـ هل تريد شيئاً. اقراص اسبرين او فنجاناً من الشاي او طعاماً.

ـ اذهبي الى الجحيم.

جنى على نفسه فلا يهمها أمره لا بقليل ولا بكثير ولا تستطيع مساعدته بشيء، ثم ذهبت الى القاعة بعد أن القت نظرة على ماكس وتحدثت مع الأب لورنزو. بيت الارسالية مريح وهادىء لذلك هدأت اعصابها بعض الشيء. اخبرها الأب في نهاية الحديث بوجوب عودته الى عمله وان عليها ان ترتاح لمدة ساعة على الاقل.

ـ لا استطيع فهناك واجبات كثيرة أود انجازها.

ـ كما تشائين يا ابنتي. هل تريدين ان اصطحب ممرضتنا معي عندما أعود فقد تستطيع مساعدتك.

ـ شكراً. انا متأكدة من ذلك ولكني سأدبر الامور بنفسي.

ثم ابتسمت فلا يمكن ان تفسح مجالا لاحد بمشاركتها العناية بماكس.

ـ اتمنى ذلك من كل قلبي. سأترك جيمو هنا ويمكنك الاعتماد عليه كلياً.

استراحت قليلا بعدما ذهب، ثم نظفت الطاولة من الصحون وانتهزت هذه الفرصة لغسل شعرها وتمشيطه وبعدها حملت المسروقات الى غرفة ماكس حيث كان لا يزال نائماً وخبأتها مع المسدس بسرعة فائقة وبهدوء، ثم عمدت الى الاهتمام بأمور شخصية. قلة الثياب لا تسمح باهمال تنظيفها يومياً بالاضافة الى وجود قميصين ملطخين بالدماء. سيكون ماكس ايضاً جائعاً عندما يستفيق. كم تتمنى ان يستيقظ.

مالت الشمس نحو الافق وهي لا تزال امام الفرن تطبخ وتقوم بالاعدادات اللازمة.

وجدت فيونا ماكس مستيقظاً عندما حملت اليه الطعام الذي اعدته بعناية فائقة فلاحظت عليه بعض التحسن. سألته:

ـ كيف تشعر الآن؟

ـ بأحسن حال يا ممرضتي.

اوه! لم تصدق بأنه انشرح لأنها طهت له الطعام فرتبت الصينية بحيث يستطيع ان يأكل بيد واحدة فذراعه اليسرى ما زالت تؤلمه طبعاً.

ـ بحق السماء اطلب مني مساعدتك.
ـ اريد قميصاً وعدة الحلاقة.
ثم جلس بينما اخذت تفتش امتعته لتلبية طلبه.
ـ لا ضرر من ارجاء الحلاقة للغد.
ـ اني اكره ارسال اللحية. هناك أشياء لا يمكن الاستغناء عنها ومنها حلاقة الذقن.
ـ هذا شيء سخيف في هذه الحالة.
ـ لا شك، ولكن اديري المرآة للناحية الثانية لقد اعلنت مرة بتسرّع انك تستطيعين ان تكوني جارية ممتازة فهلاّ اضأت المصابيح قبل هبوط الظلام.
ـ أجل بالطبع يا سيدي. سرّها قوله فقامت بفحص المصابيح الموضوعة على خزانة قديمة في الزاوية وقالت:
ـ اظن بأنها تحتاج الى تعبئة..
وتوقفت لأن الباب انفتح فجأة ودخل الأب لورنزو بوجه متجهم.
ـ ارجو المعذرة، هذا الرجل المدعو هارمون مريض جداً والأفضل ان تأتي لمساعدته.
فقالت فيونا متعجبة:
ـ لا يمكن. لقد زرته منذ اقل من ساعة وحدثته قبل عودتك بقليل.
كان بكامل قواه فاخذت له طعاماً لم يتناول منه شيئاً.

فقال ماكس:

ـ سأذهب لأراه.

ونهض فتبعته فيونا بتردد. ذعر هارمون عندما رآهم، وصر بأسنانه وهو يرتعش بشدة ولم يكن بامكانه الجلوس للكشف عن حرارته ونبضه الذي يدق بسرعة. قال ماكس:

ـ انها الملاريا. غطوه بالبطانية السميكة واجبروه على تناول اقراص الدواء.

ثم جلس ماكس قلقاً. فسألته فيونا:

ـ هل حالته خطرة؟

ـ لا يمكن ابداء الرأي الحاسم والسريع. هناك عوامل كثيرة يجب أخذها بعين الاعتبار فاذا سارت الأمور بشكل عادي فسترتفع حرارته ويتصبب عرقاً وربما غاب عن الوعي وبعدها يتحسن لمدة يوم او يومين ليعاود الكرة الى ان يشفى تماماً ولكن أخشى من هذه اللطمة على رأسه.

مضى الليل بكامله وهما اما صامتين لوقت طويل أو في حديث عابر عن الوادي والشعب السري والغزو الذي لا بد من حدوثه. قالت بأسف:

ـ سوف يأتون من كل حدب وصوب حاملين آلات التصوير وسيستدعون علماءهم ومؤرخيهم والمنقبين عن الآثار للبحث والتحليل الى ما لا نهاية له، ولن يستمر الوادي سرياً ابداً.

ـ لا يمكن ايقاف الزمن.

ـ بعض الأحيان أتمنى لو أنه يقف. توقفت وهي تنظر الى المصباح ثم استأنفت الكلام: ماكس هل تعود الى الوادي فيما بعد عندما يتغيّر كل شيء؟

ـ ربما، وانت ماذا ستفعلين في النهاية؟

ـ لا ادري افكاري مشتتة. جعلتني أحداث الأسابيع القليلة الماضية أحس بأنني عشت حياة كاملة في فترة وجيزة لم أعد أستطيع العودة الى البيت والاستكانة الى عمل ما رغم تلهفي لرؤ ية والدي ماذا افعل؟

ـ هذا احساس مؤقت سيزول مع الزمن.

ـ ربما، ولكنني لا أتصور ذلك.

ـ بل سيزول. ستحملين لوالدك ذكريات كثيرة ثم تستقرين وتضعين حداً لتعاسة روجر.

ـ روجر؟

قال وهو يربت على كتفها:

ـ اذهبي للنوم أيتها الفتاة العاقلة.

ذهبت فيونا الى غرفتها واستلقت على فراشها عند بزوغ الشمس وسرعان ما استغرقت في نوم عميق من شدة الاعياء.

استفاقت ظهراً. كان هارمون حينذاك هادئاً يغالب النعاس عندما وصلت المرأة الهندية مساعدة الأب لورنزو الذي قال:

ـ لا تخافي انها تعلم ما يجب عليها فعله عندما تنتابه الحمى

ثانية. سوف يصلنا جواب السلطات قريباً وبذلك تنتهي جميع متاعبك يا ابنتي.

١٠ - المفاجأة

«ليما، الخميس ١٤ الجاري.

هذه حاشية للرسالة التي بدأتها الليلة الماضية. قرر العم فيل العودة يوم الأحد. رجله تتحسن بسرعة، لذلك فقد نصل قبل استلامكم هذه الرسالة. انتهى كل شيء وعدنا الى ليما منذ اسبوع وهكذا فقد اصبحت البعثة حلماً من الأحلام. اني بغاية الشوق اليك يا أبي. كان كل شيء ممتعاً حقاً لا مثيل له في العالم ولكن. . .

تكاد هذه الحاشية تصبح رسالة اخرى فأنا لا اكف عن تذكر اشياء لم اوردها سابقاً. . . .

ـ اما زلت تكتبين يا فيونا. نحن ذاهبون الى الشاطىء. ألا

تأتين؟
ـ كلا شكراً لا تحسبوا حسابي.
ـ ولكن لماذا؟ وجلس جوناثان الى يمينها وفعل مثله كليف عن يسارها.
ـ ماذا جرى؟ امضيت هذا الاسبوع وانت تقتلين الوقت في الفيلا. ما الذي يغريك للبقاء هنا؟
اجابت وهي تنظر الى ماء المسبح الزرقاء:
ـ ليس هناك من اغراء. كل ما في الأمر اني لا اريد الذهاب الى الشاطىء اليوم.
فأصر عليها جوناثان:
ـ اننا جميعاً ذاهبون لنجرب رياضة ركوب الامواج المتكسرة وسيلحق بنا ماكس وتاك. انها رياضة شيقة.
ـ كلا.
احمر وجه جوناثان فاحست بغصة عندما استدار ذاهباً وتنفست الصعداء. ثم اخذت تفكر بوسيلة لتمضية الوقت. كان بودها اختبار مهارتها في ركوب الامواج في نادي السباحة على طريقة اهل جزر الهاوي.
ختمت رسالتها لوالدها وقررت الذهاب الى السوق لتستعرض البضائع مما يساعدها على التناسي مؤقتاً وهناك اشترت ثوباً برتقالي اللون واعجبت بوعل صغير ولد حديثاً معروضاً في مخزن يبيع الجلود والخزف والأشغال الفضية ثم

جلست بعض الوقت تتفرج على المارة قبل ان تعود الى الفيللا.

كانت تتسلق درج حوض السباحة لتخرج من الماء عندما عادوا تسبقهم ضوضاؤهم واصواتهم بعد الرياضة التي مارسوها. فذهب كليف وجوناثان اليها وناداها البروفسور دانن مازحاً بانه اصطاد سمكة ثم دخل الى الفيللا برفقة روجر.

بقي ماكس، وحده واقفاً في طرف السطحية وظنت بأنه سيقتفي اثر كليف وجوناثان لكنه نظر الى ساعته بعد ان خطى خطوتين نحوها ثم استدار ولحق بعمها الى داخل الفيللا.

فجأة احست بوجود شخص وراءها:

ـ والآن.

قال كليف وهو يجعلها تلتفت اليه:

ـ حان الوقت لكي تذهبي لارتداء ملابسك فقد غابت الشمس ونحن ذاهبون في المساء الى . . .

توقف ونظر الى الوراء مستطلعاً.

وظهر ماكس ايضاً وقال:

ـ ارجو المعذرة. لا تذهبي يا فيونا فأنا اريد مقابلتك على انفراد,

التفتت عابسة وتراجعت مقتربة من كليف وقالت:

ـ حسناً.

ـ ارى بأن الظرف لا يسمح بالمفاجآت. والدك قادم الى هنا.

ادهشتها المفاجأة فقالت:

ـ ماذا. . . والدي.

ـ اجل سيصل اثناء الليل وهذا ما تم اعداده لكي تكون مفاجأة، سأشرح لك الوضع فيما بعد فهل ترغبين باستقباله في المطار؟

ـ نعم بكل تأكيد. كيف. . . متى. . .

ـ تقريباً فوراً هيا اسرعي.

ـ ساعدني يا الهي! هل انت ذاهب الى المطار ايضاً يا كليف؟

ـ بالتأكيد الخبر مدهش ويجب نقله للآخرين.

ـ سأكون جاهزة بعد عشر دقائق واياك ان تذهب بدوني هل سمعت؟

هرعت الى الداخل مشتتة الافكار وارتقت الدرج بسرعة فائقة ثم اغتسلت وارتدت الثوب الجديد واصلحت زينتها. لم تصدق ان والدها آت اليوم ليلا. ما اروع هذا الخبر لماذا لم يعلمها بقدومه؟ لماذا لم يتفوه احد بكلمة؟ وهل كانوا يعلمون شيئاً. ماكس قال انها مفاجأة وهي بالتأكيد كذلك.

عندما نزلت كان عمها في القاعة يتحدث مع دون فيليب. استفسرت منه فقال:

ـ يجب ان يكون هناك من يستقبله. اسرعي يا عزيزتي انهم بانتظارك في الخارج.

نزلت الى حيث كانت سيارة ماكس الفخمة متوقفة في اول

الطريق. تقدم ماكس من وراء السيارة فتراجعت وسألته:
ـ أين كليف؟

اجاب ببرود «انه قادم» ثم فتح باب المقعد الخلفي فدخلت السيارة بعد تردد وجلست على المقعد الوثير. اغلق الباب ومشى الى مقعد القيادة حيث جلس وادار المحرك.

ـ الا تنتظرهم.

ـ كلا يستطيعون اللحاق بنا وخرج في السيارة من البوابة بخفة.

استرخت فيونا في مقعدها تفكر في انها لم تتهيأ لهذا الأمر. فقالت:

ـ لا افهم لماذا لم يخبرني احد بأن كل شيء كان مدبراً؟ هل سيصل والدي هذه الليلة؟

ـ اتظنين بأني كاذب؟

ـ كلا انما يبدو . . . ثم خطر لها خاطر فتابعت – السنا عائدين يوم الأحد حسب الترتيبات التي قام بها اليوم العم فيل؟

فقاطعها ماكس قائلاً بهدوء:

ـ الاقتراح صدر من والدك، اتصلت به هاتفياً عشية عودتنا نظراً لانه صاحب الحق الأول دون سائر الناس في سماع اخبارنا فور عودتنا وقد اشتمل برنامجي على تسجيل مخابرة لك كي تكلميه بنفسك. ولكن برزت فكرة اخرى خلال الحديث. قرر والدك الحضور وطلب مني كتمان الخبر حتى ينتهي من تدبير

الأمور نهائياً خشية حدوث اي عائق. لقد نفذت اوامره حرفياً لا اكثر ولا اقل ولم اخبر الآخرين بشيء لعلمي بعجزهم عن كتمانه عنك.

انحرفت السيارة قليلًا فافاقت فيونا من احلام اليقظة. وقالت بحدة:

ـ اهذه هي طريق المطار ام انك اجتزتها؟ لقد اصبحنا قرب الشاطىء.

ـ لا تخافي سنكون هناك في الموعد المحدد تماماً.

اهتزت السيارة عندما اوقفها ماكس بسرعة جعلت فيونا تتمايل في مقعدها ثم انحرف ليكلمها وجهاً لوجه. قال:

ـ اريد معرفة اسباب ما حدث في الفيللا.

ـ عم تتكلم؟

ـ لماذا كنت تبكين؟

ـ انا... انا لم افعل. ولا شأن لك بذلك.

ـ اريد معرفة من يجعلك تكذبين كالممثلين. بكيت بحضوري وبحضور كليف ايضاً.

كان يتكلم بلهجته الخشنة الصارمة المعهودة فلم تتمكن من السيطرة على اعصابها واغرورقت عيناها فاشاحت بوجهها عنه. وحاولت النزول من السيارة.

ثم تعثرت في سيرها نحو رمال الشاطىء حيث تتكسر امواج المحيط الهادرة لكنها لم تكن تفكر الا بالهرب من الشقاء ومن

عدم القدرة على تحمل المزيد من العذاب الذي يسببه وجود ماكس بقربها. سمعت وقع اقدامه وهو يلحق بها ورأت يديه ممدودتين.

ـ الا تستطيع ان تدعني وشأني.

قالت بصوت تخنقه الدموع وهي تحاول تجنب الطريق التي سدها عليها.

ـ كلا لا استطيع. وهذه هي المشكلة. ظننت بأني استطيع الابتعاد عن طريقك لكني فشلت. على الاقل ليس قبل تسوية هذا الحساب نهائياً.

ـ ليس هناك ما نسويه. والآن عد بي.

ـ اخبريني من هو الشخص الذي تحبينه؟

ـ انا... انا لا احب احداً.

ـ ما هي قصتك المزيفة مع روجر؟ الا زلت تدورين حوله كمركب بلا دفة؟

ـ كلا. لم اشأ جرح شعوره وهذا الأمر لا يعنيك.

ـ بل يعنيني لانني احبك واظن بانك انت ايضاً تحبينني لو كنت تدرين...

خيل اليها ان النجوم تخبو وتتألق في لمحة بصر.

قالت بصوت خافت:

ـ ماكس هل قلت بانك تحبني؟

ـ بلى وعلي ان احذرك بان حبك لي يجب ان يختلف عن

علاقتك المائعة مع روجر. فقولك انك لست متأكدة من نفسك لا وجود له في قاموسي، اما ان تحبينني بكل جوارحك والا فلا. انا رجل لا يرضى بأنصاف الحلول... كل شيء او لا شيء.

عادا سوية الى السيارة يتبعهما ظلهما كأنهما شخص واحد وصوت ضحكتهما يتردد على كثبان الرمل بينما النجوم تتلألأ في كبد السماء.

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

- زوجة الهندى
- السر الدفين
- طال انتظاري
- الوجه الآخر للذئب
- برج الرياح
- الماضي لايعود
- لقاء الغرباء
- وردة قايين
- عصفور فى اليد
- الغيمة أصلها ماء
- الهوى يقرع مرة
- خيط الرماد
- الصقر واليمامة
- حتى تموت الشفاه
- أصابع القمر
- وعاد فى المساء
- القرار الصعب
- الفريسة
- أريد سجنك
- خطوات نحو اللهب
- دمية وراء القضبان

- عذراء فى المدينة
- الامواج تحترق
- العروس الاسيرة
- رجل بلا قلب
- سيدة القصر الجنوبى
- شهر عسل مر
- عيناك بصري
- من أجل حفنة جنيهات
- رجل من نار
- نداء الدم
- ليالي الفجر
- ما أقصر الوقت
- قلب فى المحيط
- المجهول الجميل
- الزواج الابيض
- أقدام فى الوحل
- قال الزهر آه
- كيف أحيا معك
- غضب العاشق
- مزرعة الدموع
- الواحة

- آخر الأحلام
- هل تخطىء الانامل
- البحر الى الأبد
- الحصار الفضي
- الشبيه
- الكذبة
- الندم
- انت لي
- جراح باردة
- طائر بلا جناح
- عاطفة من ورق
- قطار فى الضباب
- قل كلمة واحدة
- مندلا
- تعالى
- السعادة فى قفص
- هاربة
- هذيان
- أرياف العذاب
- اللهب والفراشة
- لا ترحلي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
ذليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعا وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

أرجوحة المصير

الراية البيضاء

العذاب إذا ابتسم

الرجل الفراشة

أنشودة البحيرة

النصف الآخر

دورها فى اللعبة

حورية التلال

سيدة نفسها

دون أن تدرى

ضحية

صخرة الأمنيات

عقد الأصداف

عد فقيراً مثلى

لا تعتذرى أبداً

قبل أن ترحل

لو لم تسافر

لقاء واحد يكفى

مصارع الثيران

مازلنا غرباء

نصف الحقيقة

منارة فى الأنواء

وحدهما فقط

أطياف بلا وجوه

البحث عن وهم

الوادى السرى

بحر العتاب

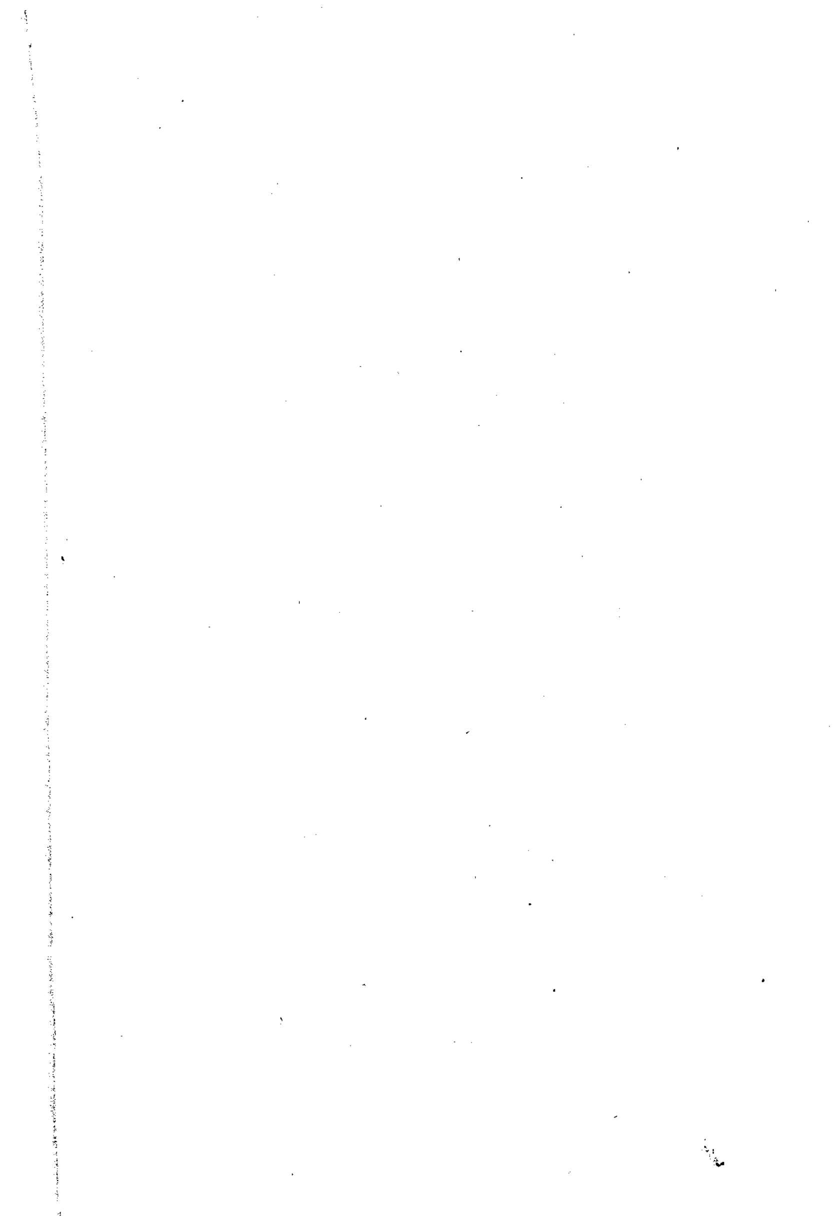
بين الحلم والواقع

عروس إبليس

فصول النار

قيد الوفاء

لا أحد سواك

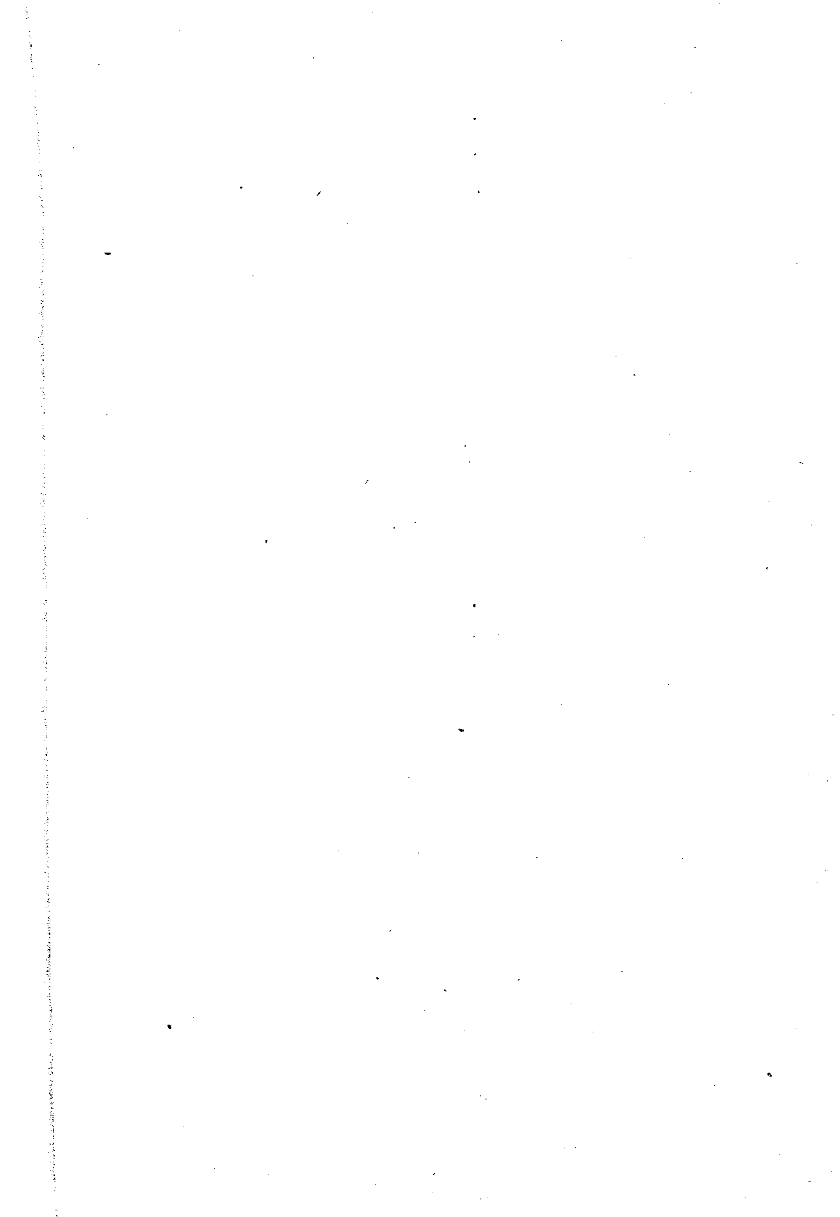


❀ هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

❀ تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

❀ في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

❀ إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...



مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

